الدار العربية للعلوم ـ ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.



قرأتُ لكَ

من عيون الكتب





إعداد:
الدكتور عبد العلي الجسماني

قرأت لك
من عيون الكتب

إعداد
د. عبد العلي الجسماني



بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى
1427 هـ - 2006 م

ISBN: 978-614-02-0482-9



عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: (+961-1) 785107 - 785108 - 786233
ص.ب: 13-5574 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان
فاكس: (+961-1) 786230 - البريد الإلكتروني: bachar@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

التنضيد وفرز الألوان: أبجد غرافيكس، بيروت - هاتف (+9611) 785107
الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت - هاتف (+9611) 786233

تصدير

العلم والمعرفة من منبت واحد يشطآن، ومن أرومة الحكمة يتفرعان، وكلاهما من إبداعات عقل الإنسان، فلا غرو في ذلك ولا عجب.

لقد صار معلوماً الآن، بل أصبح مألوفاً القولُ إنّ العلم لن يعطيك بعضه ما لم تعطِهِ كلّك.

فأين المصدر الأمثل؟

وأين المورد المنهل؟

الكتاب... الكتاب. فهو خير جليس مأمون.. وهو أصدق أنيس مضمون.

إدمان ملازمة الكتاب ينمّي قريحتك، ويثري معرفتك، ويوسّع، لا شك، مداركك، وآثاره المثلى تمكث منقوشةً في أرجاء ذاكرتك وفي حنايا وجدانك.

فاحرص على إدامة النظر في الكتاب المُنتقى، تشعر بحلاوة الارتواء المُستقى. وبعد:

فهذه قراءات منتقات، من كتب بعناية مصطفات. من إذاعة الشباب التابعة لإذاعة صنعاء قدمتها بطلب من الصديق الدكتور محمد ناصر حُميد أستاذ الأدب العربي بجامعة صنعاء: المشرف على برنامج (قرأت لك)، فمتضمنات الكتاب تلخيص لكتب اخترتها بعناية، وبقدر الطاقة اجتهدت في عرضها عبر الأثير بأسلوب يستحبه المستمعون، وكل أولئك الذين يستهويهم الكتاب وهم إليه يتطلعون.

ومن الله التوفيق والسداد.

الدكتور عبد العلي الجسماني
جامعة صنعاء

1 – كتابا صنعاء والقرية

للشاعر الدكتور عبد العزيز المقالح

حديثنا اليوم يتناول كتاب صنعاء وكتاب القرية للدكتور عبد العزيز المقالح، صدر الأول منهما عام 2000 والثاني عام 2002 عن مؤسسة رياض الريس.

قرأت لك هذين الكتابين. بل قل هذين الديوانين من الشعر. بل هما ملحمتان متكاملتان تحكيان حياة جيل من أبناء اليمن: من حياة شبابه وكهوله.لا جدال أنك أيها المستمع الكريم، وأنكم أيها الشباب، تواقون إلى التعرف على هذين الكتابين المتكاملين. إنهما: **كتاب القرية**، و**كتاب صنعاء**، لشاعر اليمن المبدع الدكتور عبد العزيز المقالح.

الكتابان أسماهما الدكتور المقالح كما سمعتم. والحق إنهما لإبداع جديد. وإنهما لنهج في الأدب فريد. فكتاب القرية تضمن سبعاً وسبعين (لوحة) كما سمّاها مبدعها، واحتوى كتاب صنعاء ستاً وخمسين (قصيدة)، كما وردت هكذا أيضاً.

ففي هذين الكتابين، بل هذين الديوانين الملحميين تقرأ الاهتداء، والذاتية، والقدرة. الاهتداء في اقتفاء خطى السيرة الشخصية، لكنها سيرة مشدودة إلى هموم الناس وسيرورة الزمن في القرية أيام طفولة الشاعر ويفاعه، وحكاية عنفوان صنعاء أيام إقامة الشاعر فيها منذ أمد.

وما فتئ يتنفس عبق هوائها فيعكسه وصفاً يحمل أسنى نسمات حبه لها ولقريته التي جاء منها. ففي اللوحة السابعة عشرة من كتاب القرية يقول شاعرنا:

أَحَبّ الفتى الكروانْ
تماهى مع الصوت
لا شيء يَشْغَلُه حين يأتي المساء سواهُ
سوى شجن تصبغُ الأفق ألحانُهُ
ومواجيدُه
ونزيف من الشجن الآدميّ
مساحةُ ضوءٍ تطوفُ الفضاء
تبلِّل باللامبالاة صمتَ القرى
وصدورَ الجبال
يمدُّ الفتى كفَّهُ عَبْرَ نافذة الليل
يسأل عن غده
قبل أن يصمت الكروانْ

بعد هذا النظم المسبوك يشرع الشاعر بوصفٍ دقيق كيف يُسدل الظلام على القرية سدوله فيؤوب أطفال القرية، بما فيهم الشاعر، إلى منازلهم، ولكل طفل منهم أجنحة من الخيال حسبما استلهمها من ثراء الطبيعة ومن أحضانها الحانية، أيام طفولة الشاعر في قريته كانت النجوم هي مصابيح الناس وساعاتهم، ففي اللوحة السابعة والثلاثين، جاء الوصف:

في القرى ما تزال النجومُ مصابيحَهم
وهي ساعاتهم
وإذا ما استوى قمرُ السهرِ
وأغتسلت واجهات البيوت بفضتِهِ

خرجوا للشوارع يحتفلون به
ويغنون،
في ضوئه الهادئ الأخضر استيقظتْ
عشرات الحكايات من نومها.
فاقرأ كتاب القرية لتقف على حياة الريف في اليمن وحياة الشاعر في طفولة أمضاها فيه فأطلَّ من جَفنيه.
واقرأ كتاب صنعاء لتعرف:
مكة عاصمة القرآن،
باريس عاصمة الفن،
لندن عاصمة الاقتصاد،
واشنطن عاصمة القوة
القاهرة عاصمة التاريخ،
بغداد عاصمة الشعر،
دمشق عاصمة الورد،
وصنعاء عاصمة الروح
في أعماقها كنز مخبوءٌ
للحلم
وفي رحابها تقام الأعراس البهية.
ففي هذين الديوانين يجد القارئ نفسه إزاء سيرة حياة عبر رحلة عاشها الشاعر المقالح بين قريته وعاصمته حيث نبتت الذات وحيث تجلت القدرات، فهو عمل بارع يمثل هالة الفكر وضنى الصنيع، فبادروا أيها الشباب إلى الديوانين اقرأوهما، تعودون منهما بارتواء الوجدان والروائع الحية المضيئة.

2 – ديوان اليمن

للشاعر سليمان العيسى

حديثنا اليوم نتناول فيه ديوان اليمن للشاعر سليمان العيسى وقد نشرته الهيئة العامة التابعة لوزارة الثقافة اليمنية، عام 1999.

قرأت لك ديوان اليمن. فمن مسماه تستدل على مضمونه ومحتواه. ديوان شعر اكتنز بين دفتيه أربع مجموعات شعرية رتبها الشاعر الكبير الأستاذ سليمان العيسى، صاحب الديوان، حسب تسلسلها الزمني إلى:

من أغاني المهد

رباعية وادي الضباب

رباعية بشرى وحنان

خيوط من بردة الشمس

وقد قدّم للديوان مقدمة ضافية شاعرُ اليمن المعروف الدكتور عبد العزيز المقالح. الديوان يضم بين غلافيه نفحاتِ نفس، وخلجاتِ عواطف، أورت قبساتِها انفعالات، ونبضات وجدانية أيقظتها مواقف جذابة عاشها الشاعر العيسى في ربوع اليمن.

الديوان أشبه بإضمامة ورد اختلفت ألوانها وأتلفت عطورها التي تشكلت (في وعي الشاعر وفق تصور عميق لوظيفة الشعر باعتباره وسيلةً أو أداةً لتفجيرِ الطاقات الكامنةِ في الإنسان *...).

الشاعر العيسى في ديوانه هذا يعرض أمام ناظريك، ويغذي مخيلة بصيرتك بوقائع حياة حقيقية، ويستدرجك إلى ماضٍ مخلَّدٍ بكينونة اليمن الغابرة والحاضرة على حد سواء. فلنستمع بل فلنقرأ للشاعر وهو يخاطب صنعاء ومن خلالها يناجي أدهراً وعصوراً:

يا بْنةَ الأسطورةِ الأولى.. ويا لغز الزمانِ

يا التي تنفُضُ عن أحجارها الدّهرَ..

وترميه نُعاساً عربياً

وزماناً من بقايا سدِّنا المنهارِ...

مهزوماً، شقياً

ملَّهُ السورُ الذي حَجَّرنا دهراً.. وملّتْه الأغاني

يا ابنَةَ الأغنية البِكر.. وظئرَ الزمانِ

قادم.. أعتصرِ الجرح عتيقاً في لساني

مرة أكتبه شعراً.. وأهوي ألفَ مرّة

حتى ينتهي الشاعر إلى قوله:

آهِ يا صنعاءُ، يا أمّاهُ، قولي.. ما عساني

أوُقِظُ الآن، وأهديه إلى عينيكِ شعراً، ما عساني!

ففي ثلاث وتسعين مقطوعةً شعرية، بل قل ثلاثاً وتسعين وقفة وجدانية، يذكّرنا الشاعر سليمان بمواقف سداها ولُحْمتُها أرض اليمن. فكأن القارئ أمام جمال سجادة وشيُها مختلف وجمالها مؤتلف. وكل هذا ينبئ عن لا حدود يمكن أنْ تحِدَّ من طاقةِ العقل وتفاؤلِ الشاعر بأبعاد الآفاق أمام هوى اليمن الزاخر بالإرادات، والمتفجر الواعد بالعطاء والهبات.

فلنقرأ للشاعر وهو يخاطب عرش بلقيس في مأرب:

غازل بعينيك السماء
وغُصْ بعيداً في الرمال
يا عرشَها المتألِّقَ،
المغروز في كبِدِ المُحَال
ويمضي شاعرنا في ندباته وتأوهاته هذه حتى يقول:
يا وردةَ الصحراءِ.. يَلْبَسُ
كل شيء في دمانا
هاتي سنا عينيك يا
أمّاه.. واخترقي دجانا
أنا عند عرشكِ آهةٌ
تعبت.. وما برحتْ تقولُ
هيهات يا وطَنَ الضياء
البكرِ يمحقُكَ الأُفولُ
وتحت أسوار (شجرة الغريب) التي اسمها شجرة اليمن العجيبة: وهي الشجرة التي قدَّر علماء الطبيعة عمرها بما يزيد على ألفي عام. أراد شاعرنا أن يقول لها نشيداً من شعره بعد أن تحدّثْ عوادي الزمان فقالت للناس أشياء عجيبة.
يسألها الشاعر فيقول:
ما أنتِ؟ حارسةٌ للدهر، أم خَبَرُ
يَعْرَى ويُورِق، لا يُدْرى له عُمرُ؟
ما أنتِ؟ سرٌّ من الماضي يطوف على
شط الزمان.. بجلبابه يأتزِرُ
فشجرة الغريب وعرش بلَقيس قد خلدتهما آزال الزمن، وذكّرنا بأعراسهما الآن ديوان اليمن. فعاجلوه أيها الشباب تواً واقرأوه. إنه ديوان شعر بقراءته تصفو النفس ويرتوي الظمأ.
إنّ حياة الإنسان، أيها الشباب، إنما هي عظات وعبر. فهي مدرسة الأيام. فكلّ شخص اكتسب خبرة أشمل يترك في نفوس الآخرين وعقولهم أثراً أتمَّ وأكمل. وعلى المرءِ أن يتذكر دائماً بأنَّ الإنسانَ المتمرسَ في الحياة يصلح لنا خير قدوة. إذ يكونُ أقدرَ على أن يوري في النفوس زند الأمل ويبعثَ فيها جذوة الشباب المتحدد المؤمّل. فلنستمع لقول الشاعر سليمان العيسى في إحدى قصائد ديوان اليمن بعنوان (يمنُ الغد) وبعنوان فرعي باسم نشيد للجيل الطالع:
إبنِ الحياة وجدّدِ
نَهْواكَ يا يمن الغيد

* * *

فوقَ السُّطُوح، على القِمَمْ
أُنْشُرْ ضياءَكَ يا عَلَمْ
وتَخَطَّ باقيةَ الظُّلَمْ
ولينطلقْ يمنُ الغَدِ

* * *

بالشامخاتِ مؤزّراً
بالشّمسِ يا يمنَ الغَدِ (ص 143 – 144).

وهنا نجَدُ شاعرنا يناجي وادي الضباب وهو متنزه رائع في تَعِزّ فينظر إلى القِمم والهِضاب، وكلها يُلَفِّعُها بين الحين والآخر الضباب فيقول الشاعر:

وأَشْرُدُ في الصمتِ المُوَشّى عُذُوبةً
ويَنْدَحُ أفقٌ شاعِرٌ..
وخضابُ
أُحِبُّ.. فتنهال الغيوم على يَدي
قصائدُ...
أخشى لَمْسها
وأهابُ
أُحِبُّكِ يا أرْضي.. وأسألُ،
والهوى
سؤالٌ... لم العِشْقُ الجميل
عذابُ؟
أُحِبُّكِ.. إنساناً
وعُشْباً، ورَمْلةً
يباساً
وحُلْماً ضجّ منه إهَابُ

ففي قصائده الجميلة في ديوان اليمن يصوّر الشاعر كل وقفة، وكل منظر في ربوع اليمن. فمن هذا الديوان نتعلم مواقع في هذا البلد الكريم لم يرها غيره من القادمين من خارج اليمن. فإنه لديوانُ شعر، بل قل إنه وثيقة. وإنه لديوانٌ يضم بين جناحيه وصفاً رائعاً لمناظرِ هذا البلد الخلاّبة، ولأخلاق أهله الرفيقة الرقيقة الجذّابة.

كلي أمل فيكم أيها الشباب أن تبادروا فتقرأوا ديوان الشعر الجميل هذا: أعني **ديوان اليمن**، لتستمتعوا بنفحاته الروحية والوجدانية، كما استمتعتُ بها حقاً.

3 – كتاب الأيام

للدكتور طه حسين

حديثنا اليوم نتناول فيه كتاب الأيام للدكتور طه حسين، نشرته عام 1974 دار الكتاب اللبناني في بيروت.

قرأت لك كتاب **الأيام**. ومن منّا لا يذكر كتاب (الأيام) ولا يتذكر من هو طه حسين، عميد الأدب العربي. أو مَن يُذكر له طه حسين ولا يتذكر الأيام، هذا اللقب الذي سعى إلى طه حسين ولم يسعَ هو إليه، ولم يتهالك في السير خبباً من أجل الحصول عليه.

نشأ طه حسين بين عدد كبير من أخوته وأشقته. ففي كنف الأسرة تزكو مغارسُ الشخصيةِ الإنسانية. وفي ظلال الأُسرة تتفتح آفاق ذكائها الأولى. وفي مرابع الأسرة تتوجه الاهتمامات، وتترسخ الرغبات.

الأسرة هي الملاذ والملتجأ. والأسرة واحة الارتواء العاطفي، وهي للفرد موئل الطمأنينة والأمان. في جو كهذا ترعرع طه حسين: ترعرع بين حدب والديه واحترام أشقته. فنما وفي نفسه اشتياق إلى التعرف على كل شيء. نما وفي حسه رهافة، وفي نفسه ولع بارتشاف المعرفة، واستكشاف البيئة والعالم من حوله.

فلنقرأ له قوله وهو يصف الفتى الذي هو ذاته:

"كان من أول أمره طُلُعة، لا يحفل بما يلقى من الأمر في سبيل أن يستكشف ما لا يعلم. وكان ذلك يكلِّفُه من الألم والعناء..."، ج 1، ص 22.

نعم، وُصف حب الاستطلاع الملحاح عنده بأنه من دواعي (الألم والعناء)، ولكن هل يُسلِس العلمُ قيادَه من غير معاناة وعناء! وهل يطاوع الأدب شخصاً من غير موهبة واستقصاء! وهل يعطي العلم بعضه ما لم يعطه المرءُ كلَّه أو جلّه!

إنّ ذلك ليتطلب من المرءِ إرادة فذة، وتقتضيه تنشئة على مرِّ الأيام نادرة. إذ مرّت بطه حسين أحداث، بل هو مرّ بها عركته وعجمت عوده، ومنها "عرف لنفسه إرادة قوية"، ج 1، ص 23.

كان إصراره على الحفظ والإتقان بالغاً، ففتح ذلك عليه مغاليق المعرفة من أوسع مداخلها ومن أرحبِ منافذها. يصف حياته أيام الأزهر وكيف كان يُقبِل على الدروس والمحاضرات بشغف مكّنه من ناصية العلم والأدب. وقد أدرك بفطرته الصافية وحسه الشفاف أنّ نورَ البصيرةِ أقوى من نورِ البصر.

كتاب **الأيام**، موضوع حديثنا هذا، كان بآلة تصوير أشبه، وبأداة تسجيل أمثل. ففي كتابه هذا دوّن كل ما يبلغُ مَسْمَعه، وفيه أثبت كل ما بَلَغَهُ وصْفُهُ؛ بكل ذلك جاء حافلاً كتابُ **الأيام**. وما للناس والأساتذة وزملائه طلبة العلم، من سجايا وشمائل وأخلاق، بكل ذلكم أَلَمَّ أيّما إلمام.

كان طه حسين يستشعر القصور في نفسه فلما سار في طريق التحصيل الشاق استشعر الثقة في ذاته، وآنس اليقين في كيانه، وصار يُحس إحساس الواثق المطمئن أنه لا ينقصه شيء. فسأل نفسه، بل تساءل في قرارة نفسه: لماذا لا يقتحم مقاحم الحياة؟

أخذ نفسه بالشدة لا باللين. ربّى إرادته على الإصرار والعناد إزاء استكانة النفس للرخاوة والدعة. وقد وصف سيرته العلمية والأدبية، وكيف تعلّم اللغة الفرنسية وحذقها، وكيف اقتحم امتحان العالِمية وفاز بها لينضم إلى البعثة العلمية في باريس.

وهناك يتحدث لنا كيف ولج عتبة عالم جديد لم يألفه، وكيف له الصعاب دانت ولإرادته استكانت.

فلنستمع إليه يقول عن حياته في باريس:

"وبينما كان الفتى يُمتَحنُ بأثقال هذه الحياة المادية والعقلية العسيرة، مجاهداً ما استطاع الجهاد، مُرَوَّعاً بين حين وحين بهذا اليأس الذي كان يتراءى له من وقت إلى وقت فيُشقيهِ ويُضنيه. فُتح له بابٌ من أبواب الأمل لم يكن يُقدِّر أنه سيفتح له في يوم من الأيام"، ج 5، ص 583.

فما هو الدرس الذي نتعلمه من سيرة طه حسين الموصوفة في كتاب **الأيام؟** فهو يجيبنا فلنُصغِ إليه: "إنه كان يأخذ نفسه بالشدة في سبيل كسب المعرفة والعلم. وإنه كان يؤثر سلطان الضمير من أجل الحق. وإنه ما كان يرضى لنفسه الدَّعَة من غير ضرورة قصوى"، ج 5، ص 689.

ففي السيرةِ الرائعة هذه لنا مثل نحتذيه ولنا فيها فنار إلى المحامد نستهديه.

اقرأوا كتاب **الأيام** تجدوا فيه عظاتٍ وعِبَراً، ومن حياة الماضين تقرأون أمثالاً وخبراً.

يصف لنا طه حسين في كتاب **الأيام**، ما عاناه من حزنٍ وألم، وما قاساه من ضيقٍ وسأم. فقد عانى في عالمه الداكن الظُلْمة من خارج ذاته، الناصِع الإشراقِ في رحاب نفسه وحياته.

إن قراءة كتاب **الأيام** لطه حسين يجعلنا نتابع حياة عميد الأدب العربي في مراحِل حياتِهِ الأولى التي كان وعيه فيها يكتمل بالقدر الذي أُتيح له، فكان يَقْبَلُ هذا القدر راضي النفس، ولكنه كان توّاقاً إلى مزيد. وكان له من مراس عزيمته ومن قوة شكيمته ما يسّر له السبل، وسهّل عليه نيل المرام.

ففي كتاب **الأيام** يقرأ المرءِ خصائصَ شخصيةِ طه حسين، فهي شخصيةٌ تجمع بين الإرادة التوّاقة، وفهم للحياة بعيد في أعماقه، فصاحب (الأيام)، وهو الدكتور طه حسين، لم تَفُتَّ في عضده ظلمة البصر فخلّف للأجيال من كنوز العلم والأدب، ومن مآثر السيرة الحميدة المكافحة ما يرضي الأرب وترك وراءه تراثاً ثرّاً جميل الأثر.

فهذه، أيها الشباب، لمحة عجلى في كتاب **الأيام** لطه حسين، لذا أقول: اقرأوه ستجدون فيه ما يَشفي الغليل، وللمقتدي عنوان دليل.

4 - الحكمة الخالدة

لمسكويه

نتناول في حديثنا اليوم كتاب **الحكمة الخالدة** لمؤلفه أبي علي أحمد بن محمد مسكويه وحققه الدكتور عبد الرحمن بدوي، والكتاب في طبعته الثالثة نشرته عام 1983 دار الأندلس في لبنان.

قرأت لك كتاب **الحكمة الخالدة** لأبي علي أحمد بن محمد مسكويه الذي عاش في القرن الرابع الهجري الموافق للقرن العاشر الميلادي.

الكتاب نفيس، ونفاسته مصدرها ما احتوى عليه من أمثال شائقة وحكم رائقة. فلنستمع إليه وهو يقول: "كل إنسان يُحبُّ نفسه، وكل من أَحبّ شيئاً أحبّ أن يحسن إليه. فليت شعري عمن لا يعرف نفسه كيف يحسن إليها! ومن لا يعرف طريق الإحسان كيف يسلكه!" ص 23.

ولكن كما يعلم المستمع الكريم أن معرفة النفس ليست بالأمر الهين، وليست بالأمر السهل على كل إنسان لذا يقول مسكويه: "لو كانت معرفة النفس أمراً سهلاً ما تعبت لها الحكماء، ولا تبرّمت بها الجهال، ولما أُنزل في الوحي القديم (يا إنسان! إعرف ذاتك) وقال: قال الله عزّ من قائل)يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً(، (سورة الفجر، الآية: 27 – 28).

وجاء في الحديث "من عرف نفسه عرف ربه" وفي حديث آخر "من عرف ربه لم يشقَ"، ص 23 – 24.

ومما ذكره مسكويه في كتابه هذا قوله أيضاً: "من لم يتفكر في كل شيء، خفي عليه كل شيء". ويتكلم محمد مسكويه في حكمته **الخالدة** عن النفس ولكن بأمثال رائعة، حاولت نظريات علم النفس الحديث تعليل مرامي النفس التي تعبت في مرادها الأجسام: فها هو يقول في **الحكمة الخالدة:**

"نظرُ النفس للنفس هو العناية بالنفس.
ردع النفس للنفس هو العلاج للنفس.
عِشق النفس للنفس هو المرض للنفس.
النفس العزيزة هي التي لا تؤثّر فيها النكبات.
النفس الكريمة هي التي لا تثقل عليها المؤونات.
لا تصدقن بما لا برهان عليه.
لسان العلم الصدق" ص 24.

حِكَمُهُ هذه عن النفس أسهبت فيها في علم النفس نظريات. فجاءت في الحكمة الخالدة بليغة وبإيجاز أخّاذ وبوجازة تحمل على القناعة والركون إلى مصداقيتها العملية الرصينة.

ففي هذا الكتاب يقرأ المرءِ من حكم العرب، وحكم الإسلام، وحكم الأمم القديمة الأخرى، من ذلك مثلاً حكم الفرس، وحكم الهند، وحكم الروم، وحكم اليونان.

ففي الكتاب هذا مثلاً ما قاله الفارابي إذ يقول:

"إن لكل شخص من أشخاص الناس قوتين: إحداهما عاقلة، والأخرى بهيمية. ولكل واحدة منهما إرادة واختيار، وهو كالواقف بينهما. ولكل واحدة منهما نزاع غالب: فنزاع القوة البهيمية نحو مصادفة اللذات العاجلة الشهوية. ونزاع القوة العاقلة النطقية نحو العواقب المحمودة مثل أنواع العلوم وأنواع الأفعال التي تُجدي العواقبَ الفاضلةَ السليمة" ص 328.

إن كلام الفارابي المطول والذي اقتبسنا منه هذا الجزء اليسير، قد أطنبت في ما يشابهه نظريات علم النفس الحديثة. فآراء الفارابي في الكتاب جديرة بالتدبر التربوي والنفسي والاجتماعي على حد سواء.

إنّ كتاب **الحكمة الخالدة** هذا يُعدّ بمثابة خِزانة علمٍ وأدب، ويُعدُّ وعاء حِكَمٍ وأرب. إنه كتاب أشبه ما يكون ببستان وارف يضم في محيط مساحته مختَلَف الثمار اليانعة، وأنواعاً من الرياحين الطيبة، ففيه إلى جانب حكم العرب والمسلمين، يقرأ المرء لسقراط وما قد تفوّه به من حِكم، ويقرأ وصية أرسطو للإسكندر يوم اضطلع هذا الأخير بمسؤوليات الحكم وأعباء الحياة ومما جاء في وصية أرسطو ونصائحه للإسكندر قوله: "ليس الآمر بالخير أسعدَ من المطيع له، وليس المعلمُ أقل انتفاعاً بالعلم من المتعلم، ولا الناصح أولى بالمديح من المنصوح له، حتى قيل وإنّ الله – تعالى ذكره – لم يرضَ لنفسه من الناس إلاّ بمثل ما رضي لهم به منه، فإنّه أمرهم بالترحم ورحمهم، وأمرهم بالتصادق وصدقهم، وأمرهم بالجود وجاد عليهم، وأمرهم بالعفو وعفا عنهم" ص 219.

كتاب الحكمة الخالدة لمحمد مسكويه والذي حققه د. عبد الرحمن بدوي ممتع في قراءته، ثري في معلوماته. إنه لكتابٌ علومُه زاخرة وحِكمه وافرة، فبادروا إليه واقرأوه، تجدوا فيه ما يمتع النفس وينفع العقل. فلنقرأ مثلاً، بعضاً مما جاء في وصية قس بنِ ساعدة لابنه، وفيها يقول: "اعلمْ يا بُني أنّ المِعَى تكفيه البقلة، وترويه المذقة. ومَنْ عيَّركَ شيئاً ففيه مِثْلُهُ. ومن ظَلَمكَ وجد مَنْ يظلِمُه. ومتى عَدَلتَ على نفسك وعلى مَنْ دونك عَدَلَ عليكَ مَنْ فوقك. وإذا نَهَيتَ عن شيءٍ فابدأ بنفسك. ولا تجمعْ ما لا تأكل ولا تأكل ما لا تحتاج إليه فيتويك؛ وإذا ادَّخَرتَ فلا يكونَنْ كنزك إلا العمل الصالح. وكُنْ عفّ العَيْلة، مشتَرِكَ الغنى تَسُدْ قومك. ولا تُشَاوِرن مشغولاً وإنْ كان حازماً لبيباً، ولا خائفاً وإنْ كان فَهِماً عليماً. ولا تضع في عنقك طوقاً لا يمكنُك نزعُه إلا بِشقِّ منك" ص 155.

فبمثل هذه الحِكَم والنوادر، وبمثل هذه النصائح والجواهر، يحفل كتاب **الحكمة الخالدة**، لمحمد مسكويه.

في الكتاب من المخزون العلمي والمكنوز المعرفي، وصيّةُ فيتاغورس المعروفة بالذهبية التي يقول جالينوس إنه كان يقرأها كلّ يوم غُدوةً وعشيةً. يقول فيتاغورس مما قاله في وصيته: ".. لا يحملنّك أحد بكلام أو بفعلٍ على أن تفعل ما ليس بجميل، ولا أن تتفوه به، ورَوِّ قبل الفعل كيما لا تعابَ في فعلك..

واحذر أن تقول أو تفعل ما يُستجهلُ منك، بل إنما ينبغي أن تقتصر فيما تفعله على ما لم يَعُدْ بالضّرر عليك. ولا تفعلن فعلاً وأنت جاهل به، بل تعرّف في كل حالٍ وفي كل واحدٍ من الأفعال ما يجب أن تفعله، فإنك حينئذٍ تُسَرُّ بمعاشك... استعمِل الفكرَ قبل العمل. ولا تساعد عينك على النوم قبل أنْ تتصفّحَ كل واحد من الأفعال التي فعلتها في نهارك أجمع..." ص 226 – 227.

ومن كلام لأكثم بن صيفي: ليس بيسيرٍ تقويم العسير. إذا أُنْصِفَ مظلوم لم يَبقَ ملوم. لم يَجُرْ سالكُ القصد. التَّناصُرُ عِز والتواكل مَذَلّة... بئس الصديقُ الذي إنْ أعطيتَه أفقرَك، وإنْ مَنَعْتَه وَجَدَ عليك... المَوَدَةُ لا تنقطع ما دامت العِفَّةُ رباطَها...) ص 174 – 177.

أيها الشباب أنصحكم بقراءة كتاب **الحكمة الخالدة** لمحمد مسكويه، لما يتضمّنه من حِكَم في العلم، ونصائحَ في الحِلْم، وَمثلاتٍ في الأدب، ومواعظَ في كلِّ مطلب. لذا لخّصت لكم، أيها الشباب، **الحكمة الخالدة**، لاعتقادي بأنكم بما سمعتم جديرون، ولإيماني بأنه بالقراءة تستنير العقول، وبالقراءة تنجلي البصائر.

5 – هذا الكون: ماذا نعرف عنه؟

بقلم: الدكتور راشد المبارك

نتناول في حديثنا هذا كتاباً جديدَ العنوان، فريدَ المحتوى والبنيان. فعنوانُه: **هذا الكون: ماذا نعرف عنه؟** لمؤلفه الأستاذ الباحث الدكتور راشد المبارك، والناشر للكتاب هي دار القلم بدمشق وقد نُشر بطبعته الأنيقة الأولى عام 1996 للميلاد.

يتألف الكتاب من مقدمة كتبها الدكتور محجوب عبيد طه أستاذ الفيزياء النظرية بجامعة الملك سعود في المملكة العربية السعودية، ويلي المقدمة إيّاها مدخل بقلم المؤلف الدكتور راشد المبارك، ويضم الكتاب إلى جانب ذلك اثني عشر فصلاً، وأُلْحِقَ بالفصول الاثني عشرَ هذه، دليلٌ للأعلام والموضوعات التي احتواها الكتاب الذي عزّزهُ مؤلفُه الباحثُ المباركُ بمراجعَ معتمدةٍ عربيةٍ وأجنبية. فلنا بعد هذا التعريف بالكتاب المكوّن من ثلاثمئةٍ وتسعٍ وأربعينَ صفحةً من القطع الكبير، وبمتضَمناتِه، بل يجدر بنا أن نقف على شيء من محتوياته.

هذا الكون: ماذا نعرف عنه: وهو عنوان الكتاب، كما أسلفنا، يُغري قارئه بألاّ ينفض منه يده قبل إتمام قراءته، وإنه لكتاب يُعلن عنوانه عن ذاته. فَمَن منّا لا يشُدُّه هذا الكونُ بعجائبه المدهشات، ولا تستأثرُ بانتباهه مكوناته المعجزات؟

نقتبس من مقدمةِ الكتابِ القولَ بأنّ: "التفسير العلمي هو إرجاع الظاهرة الطبيعية لما هو أبسط منها وأقرب للقبول، وغايته تحديدُ الشروطِ اللازمةِ لحدوث الظاهرة" ص 3.

لقد نحا المؤلف الدكتور راشد المبارك في كتابه الشائق هذا منحىً جميلاً حيث جمع بين خالص الأفكار العلمية الكبرى ومناقشة أمهات المسائل الفكرية التي فعّلتها تلك الأفكار للكشف عما يحفل به هذا الكون من عجائب وأسرار، وما يُخفي وراءه من معجزات تَحارُ في تفسيرها الأفهام.

في مدخل كتابه يذكر الدكتور المبارك قوله: "مداركُ البشر ومعارفُهم، هي مقرّباتُ الرؤية الكاشفة لأبعاد هذا الكون. ويتَسِّع مجالُ الرؤية لهذه المقرِّبات بقدر اتساع المعارف، ونضج المدارك" ص 8.

فكلام المؤلف المذكور هنا ينطوي على دعوة صريحة ومريحة: إلى أنّ مداركَ المرء كلما اتسعت آفاقها بالإطلاع والمتابعة والقراءة، مكّنته أكثر من فهم بعض ألغاز ورموز هذه الآفاق المحدقة بنا من كل جانب ومن كل حدب وصوب.

إن عقل الإنسان، أيها الشباب وأيتها الشابات، هبة إلهية أنعم بها خالقُ الإنسان على الإنسان؛ فبهذا العقل يستكشف البشر مجاهل الأرض واستطاعَ ارتياد ما في الفضاء، وللتعرف على ما في هذا الكون من سنن وقوانين، وتجلية غوامض المبهم من الأمور التي يجدها الإنسان في حياته، وتكتنفه في تأملاته وفي مختلف مهماته.

فمن يقرأْ كتابَ الكون هذا، يجدْ نفسه مسافراً عبر آفاق ومهامه، وزادُه في سفره هذا الفكرُ والتأملُ والتصورُ والتذكّرُ والتّدبّرُ. فهو سفر علمي عقلي مدوّن يستزيد الاستمتاع ويستحث القارئ على المضي في رحلة داهشة ومدهشة في آن.

وربَّ سائل يسأل: ما هو الجديد ونحن يطالعنا هذا الكون صباحَ مساءَ؟

الجواب: يكمن في أن البحث العلمي لا يقف عند حدودِ المنظور أو عند تخوم الحواس، بل إنّه – أي البحث العلمي – يفك الرموز، ويحل الشفرات المشفّرة في هذا الكون، ويفتح مغاليق المجهول ليمكّن الإنسان من إدراك الحكمة الإلهية لهذا التناغم ولهذا الانسجام الأخّاذ الذي يتعرض له هذا

الكتاب بالشرح والتأويل، والتفسير وفق سياق بعض الآيات القرآنية، والأسانيد العلمية الحديثة. لذا فهو كتاب جديدٌ كلَّ الجدة في محتواه وفي أسلوب عرضه.

ففي مضامين الكتاب هذا يجد فيه قارؤه ذلك التوهجَ الفطري، وذلك التطلع العقلي، الذي يحدو بالإنسان إلى الكشف عن المجهول؛ وأن اكتشاف المجهول لهو نصر للإنسان، وانتصارٌ على الجهالة والضلالة، وإنه – في الوقت نفسه – لَتوطيدٌ لِثقةِ الإنسانِ بنفسه، وتحديدُ هويتِه في هذا الوجود وترسيخٌ لمكانته فيه.

ولنقرأ للمؤلف كلامه الذي يقول فيه:

"وإذا كان البشر في أفرادهم خليطاً من الشذى والأذى، من النسماتِ واللوافِح، فإنّ هدايةَ الله في رسالاته، والعقلَ والوجدانَ المتصفين بالسموّ والتطهّرِ، لا يمكن أن ينضح منهما ما يُشقي البشر، إن هدايةَ اللهِ للإنسان، ونَبَعَ الخيرِ فيه دعوةٌ إلى الصفاء والنقاء، واجتثاثِ شهوةِ الافتراسِ والاستعلاء" ص 13.

ويقول المؤلف: "كل بحث عن طبيعة هذا الكون وآفاقه، وكل كشف عن بعض ألغازه وإعجازه يفضيان إلى مساحات ممتدة الأبعاد مما نجهل عنه" ص 41.

ويُضيف الدكتور المبارك: ".. لقد انبهر الإنسان في طفولته العقلية بالكون ومظاهره" ص 43، لكن عنفوان هذا العقل قد مكّن الإنسان من إقامة بناء منظم ومنتظم للمعرفة تقوم على أسسٍ قوامُها التجربة العلمية، وأشعة الحدس المرتكز إلى التأمل الهادف البنّاء.

هذا الكون: ماذا نعرف عنه؟ وهو عنوان الكتاب الذي نستعرضه في هذه العجالة، يبحث عما للكون من بداية ونهاية، لكنها بداية ونهاية محسوبة بعلم خالق الكون. وعلمُ الإنسان، كما علّمه خالقه، يقوم على الحدس والتخمين وعلى الظن والتأويل. كما يتعرض الكتاب هذا إلى النظريات العلمية المتعلقة بكيفية تكوين هذا الكون.

فهذا الكون حبكة عجائبية ما أدقها. وهو منظومة إبداعية سبحان الذي أبدعها. فهذه، مثلاً، المنظومة الشمسية، وهي جزء من هذا الكون المهيب، لها من الأبعاد والأحكام ما يبهر الخيال، لا تعدو كونَها أشرعةً قليلةً ضئيلةً في بحر متلاطم لا نهائي الأبعاد. فالشمس هذه الكتلة الملتهبة المضيئة، وهي مصدر الحرارة والضوء، يبلغ قطرها (1.390.000) كم، ويبلغ حجمها قدر حجم الأرض (500.000) مرة على وجه التقريب، وبعدها عن الأرض هو (150) مليون كم، ودرجة حرارتها ستةُ آلاف درجة مئوية عند السطح، وثلاثة عشر مليون درجة مئوية في مركزها. فتصوروا هذه الكتلة الحرارية المذهلة مادتها مكونة من غازي الهيدروجين والهليوم.

وأرضنا التي نسكن فوقها يبلغ قطرها (12756) كم، يحيط بها غلاف جوي يتكون من غازي النتروجين والأوكسجين. وللمستمع الكريم أن يتأمل عندما يعرف أنه يعيش في كَوْنٍ مكوَّنٍ من صخور وغازات، وسخّر فيها خالقها أسباب الحياة.

إن ومضات الفكر الإنساني مكّنته من اكتشاف بعض أسرار هذا الكون بما فيه من ذرات وإلكترونات. وإنه لعجيب أمر هذه المخلوقات. فالإلكترون يصفه الدكتور راشد المبارك بقوله: "إنه لكائن عجيب ذلك الكائن الذي لم تُفْصِحْ آلاف الدراسات ومئات الأبحاث وعشرات الكشوف عن صورة واضحة له. فلا يُعرفُ حتى الآن إلاّ القليل عن تحركه وموضعه واتجاهه، بل طبيعته وكينونته. إنه الكائن المعلوم المجهول، الحاضر الغائب، الحقيقة والخيال، المادة والمعادلة" ص 147.

ففي كل فصل من فصول كتاب (الكون: وماذا نعرف عنه) نقرأ شيئاً جديداً، ونتعرف من خلال ذلك على معلومات تجمع بين الدقة والجدة والطرافة. ومن متضمنات الكتاب ندرك إدراكاً عقلياً أنّ الكونَ هذا محكومٌ بقوانينَ علميةٍ وفيزياويةٍ ورياضية هي غايةٌ في الدِّقةِ والإتقان، كشفَ عن شيءٍ منها عقلُ الإنسان.

وفيما لا تدركه الأبصار المجردة توجد هناك الثقوب السوداء التي يُطلِقُ عليها الفلكيون ورجال الفيزياء: (نقاط الرعب). ونَعَتُوها بهذا الوصف لهولها ولأنها مشهد مثير ومخيف.

ففي: **هذا الكون: ماذا نعرف عنه؟** لكاتبه الباحث والعالم الدكتور راشد المبارك تقديمُ صورةٍ علميةٍ رصينة لهذا الكون الذي يحتوينا. والصورة الواضحة هذه تمكّن المثقّف الجاد من متابعة القصة الرائعة لتطور العلم في عمق الأفكار وسعة آفاق تطبيقاتها.

فالكتاب عمل مُمَيَّز بمعلوماته العلمية القويمة وبسلاسة لغته العربية السليمة. مما ينمّ عن اقتدار مؤلفه الدكتور المبارك وتمكّنه من وضوح البيان وسلامة التعبير، فلا غرو أن يكون هذا الكتاب كما هو عليه من متانة ورصانة، لأنه صدر عن عقل مؤلف جامعي مرموق ذلكم دكتور المبارك.

فاقرأوا الكتاب، أيها الشباب، وإني لعلى يقين من أنكم ستفيدون منه علماً ومعرفة تخص كوننا العجيبَ الرائعَ هذا وتخص علاقتنا به من حيث وجودُنا وكينونتنا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

6 - من تجليات حي بن يقظان

للشاعر محمد عبد السلام منصور

حديثنا أيها الشباب عن ديوان شعر لأحد شعراء اليمن المعروفين وأدبائه المرموقين هو محمد عبد السلامِ منصور، وقد نشرت الديوان، دارُ الحكايات في لبنان عام 2002. في صفحاته البالغة مئةً وأربعاً وثلاثين صفحة، يضم الديوان ستاً وعشرين قصيدةً بعناوينَ جذابةٍ ولكل قصيدة منها مذاقٌ ولكل مقطوعة منها نكهة يتشهاها القارئ الذواق.

عنوان الديوان كما مرّ ذكره هو: **من تجليات حي بن يقظان**. وهي أطول قصائد الديوان طراً، وأكثرها تفنناً، وأشدها تركيزاً وتركيباً وفلسفةً. فلنقرأ للشاعر محمد عبد السلام منصور بعض ما كتب من تجليات حي بن يقظان حيث يقول:

لا تَقْلَقيْ؛ إنّي أتيتُ، على قلقْ
حَمَلَت عذابيْ دمعةٌ
فكتمتُها، ومضيتُ يحرقُني هجيرُ
الصَّمتِ، أركُضُ، فوقَ رملِ
الحُزْنِ، نَحْوَكِ يا ملاذَ العاشقِ
المجنونِ مَنْ يطوي ليالي العمرِ
مرتحلاً إلى شُطآنِ همسكِ، ضائعَ
الخُطُواتِ، في وَهْمِ المسافةِ؛ فاشعليْ
بَرْقَيْنِ في عَيْنَيْكِ، كي آتيكِ، مِنْ
نُوريهما، حباً تجدَّدَ، وَأْتَلَقْ

ففي الأبيات الخمسة السالفة، بل قل الأشطر العشرة الآنفة يجد القارئ نفسه حيال ما يسمى في علم النفس باختبار الرورشاخ أو الصور الإسقاطية. إذ يقرأ كلُّ فردٍ في تلك الصور الاختبارية ما يستبطنه في نفسه وما يعكسه عن حقيقة ذاته. والحُكْمُ في هذا السياقِ يعزى إلى فهم كل قارئ، وهو، بعدُ، إدراك يتراءى للنَّفسِ المُدْرِكةِ والذاتِ العارفةِ ارتكاناً إلى ماضي خبرتها، واحتكاماً إلى واقع تجربتها. إذ لا يمكن ببساطة أن يخاطب شاعرنا امرأة بعينها. فلو كان يقصد الشاعر ذلك لعمد إلى قاموسه الشعري فاختار منه ما يخاطب به عواطف المرأة من أقرب طريق، ولكان ذلك عليه أسهل، والمرأة كلها عواطف، والشعراء والأدباء، قبل علماء النفس، بهذا أدرى، وهم بالتعريف به أحرى.

وإتماماً للصورة الشعرية علينا أن نقرأ المقطعَ الرادفْ للمقطعِ الآنفْ. فيقول الشاعر محمد عبد السلام:

إنَّ المَدى، بينيْ، وبَيْنَكِ، موحشٌ أَلْقَى
عليهِ الليلُ مِعْطَفَهُ، وأَدْخَلَهُ صَقيعَ
الخَوْفِ؛ فاسترخى الوجودُ، على
فراشِ الموتِ، لا نجمٌ تلألأَ، فَوْقَ
قُبَّتِهِ، ولا طيرٌ تغنّى في الظلامِ، أنَا
الوحيدُ العِشْقِ، مشدودُ الخُطى باقٍ
على سَفَرٍ، وطَيْفُكِ، في دَميْ وحقائبُ

الأحلامِ أَمْتِعَتيْ، وزاديْ كُلّما اشتدَّ الظّلامُ؛ تَهامَسَتْ شجناً مَدامِعُنا،
توهَّجَ، فوقَ رُوْحَيْنا الهَوَى، ثُمَّ
اتَّحَدْنا، واحْتَرَقْ.

إذا قرأنا أيها الشباب، القطعة الآنفة قراءة تحليل، لا قراءة استمتاع وحسب، نتبيّن أن الشاعر محمد عبد السلام، لا يطوف بنا على حب حسناء لم تخلق بعد، بل إنّه لَيَمُدُّ رؤاه إلى ما وراءَ المحسوس، فيُسَرِّحُ الخيالَ لِيُتْبِعَهُ النفس الظامئة إلى اكتشاف المجهول لعلها تظفر بشيء من المطلوب المأمول. إذ إنّ أمام ناظري القارئ مفاتحَ لما ذهبنا إليه: فمن هذه المفاتحُ، مثلاً، (المدى).. (الموحش).. (صقيع الخوف) الذي قد يحول بين نفس الشاعر وبين نيل أمنيتها لتحقيق بلوغ الغاية المكنونة في ضمير الغيب.

ثم لنستمع، بل فلنقرأ للشاعر محمد عبد السلام منصور ما يقول استكمالاً للصورتين العقليتين الروحيتين السابقتين، إذ تتنزى نفسه اشتياقاً إلى ارتياد ما تطمح في اعتلائه من ذرى الوجد الجامح فهو يتغنى بقوله:

لا تَقْلقي إنّي سآتي ذاتَ فجرٍ فارهٍ
وأطيرُ من أعماقِ رُوْحِكِ كوكباً
أَسْنى، وأُشْعِلُ مِنْ على شَفَتَيْكِ، هذا
الكونَ حُبّاً، في لهيبِ الشّعرِ مهما
طالَ بي سَفَري فإنّي جامحُ الأشواقِ
صبٌّ كلما طالَ المسيرُ به، تراءت، في
المدى عيناكِ باسِمَتَيْنِ؛ فاشْتَعَلَ
اشتياقاً، وانطلقْ.

ثم يواصل الشاعر محمد عبد السلام انطلاقاته الروحية الذاهبات بعيداً في أجواز الفضاء اللامتناهي، إذ يقول:

الأرضُ تُشْرِقُ مِنْ فراغِ اللّيْلِ غامرةَ
الطُّيُوبِ، تَنَزلَ القرآنُ يَغْسِلُ رَوْحَها
حتى أضاءتْ نجمةٌ؛ تَنْفَكّ مِنْ مَسْرى
لَياليِها وَتَدْخُلُ في مداراتِ البهاءِ
غزالةً شهباءَ جاءتْ مِنْ رحابِ اللهِ
تسري في دماءِ الوردِ أزهاراً تُعَمّدُ
لَوْنَها بالعطرِ تذرو في اشتعالِ الرملِ
فِتْنَتَها وتأتي من بريقِ العِشْقِ رُمّاناً
وتيناً، وزيتونةً فِضّيَّةَ الومضاتِ يُشعِلُ
زيتُها في النّاسِ نيرانَ المحبّةِ
والجمالِ إلى الأبدْ.

فأمام هذا السبك من المعنى اللغوي، وإزاء هذا التلازم اللفظي، يجد القارئ أنّه لا مفرّ له إلاّ أن يبحث عن **معنى المعنى**، فلا يكتفي بظاهر القول، وألاّ ينتهي عند دلالة الكلام الملفوظ. (القرآن يتنزل)، (الأرض تشرق)، (النجوم تتألق)، (غزالة شهباء) جاءت (من رحاب الله) زيت الغزالة يغسل قلوب الناس من أدران الأحقاد وسخائم الضغائن، فيحل مكانها نورُ المحبة... كل هذه صور

تحتشد، وأفواج من الصور الرمزية تتلاحق فَتَفِد، وكأن آخرها يرد على أولها في هذه القصيدة التي اسمها **من تجليات حي بن يقظان**، والتي باسمها سمي كل الديوان.

القصيدة هذه، وهي أطول قصائد الديوان كما ذكرنا من قبل، مكونةٌ من تسعةَ عشرَ مقطعاً تكادُ تتساوى في الأشطر والأسطر: سبعةُ مقاطع منها تنتهي بحرف (القاف) فتقف عنده: مثل (.. وأتلق) (.. واحترق)، (.. والشفق)، (.. والغسق...) إلخ. واثنا عشرَ مقطعاً منها تقف عند حرف (الدال) مثل: (.. جسدْ)، و(.. الزَّبَدْ)، و(... الأشدْ)، و(.. أُحَد)، و(انفرد)، و(.. اتَّقَدْ) إلخ.

فالقصيدة، من ناحية مبناها السيكولوجي إنما يقوم على ألفاظها ويرتكز إلى إيقاعها. فمن حيث بناءُ النَّصِ قد استوفت القصيدة ما نسميه في علم التحليل النفسي (الاستهداف النفسي). ويراد به أن المرء يظل يلح على نفسه إلحاحاً ليستوفي غايةً مُثلى من أجلها تسعى، وتكون غايةً ذاتَ نفعٍ ومغزى للفرد وللمجتمع في آن.

والمعنى هو نضج الشكل. والمعاني لا شك تدور في رؤوس الجميع، وقد يستطيعها الجميع. أما الشكل الذي يستهوي النفس فلا يقدر عليه إلا الصفوة المتمكنة من المبدعين[1]. والمتفق عليه بين علماء النفس وعلماء الاجتماع وكبار الأدباء والشعراء هو أن الشكل يكاد يكون المُوَلِّد الوحيد للمعاني.

وهذا عندئذٍ يستلزم تأثير الإيقاع بوصفه الملمحَ الأقوى لشكلية النص[2] الشعري أو الأدبي وكلّ منهما في موقعه وبحسب قوة التأثير الإبداعية فيه.

ومن هنا يلزم أن نتحوّل إلى قصيدة أخرى من قصائد ديوان: **من تجليات حي بن يقظان**، للشاعر محمد عبد السلام منصور، والقصيدة بعنوان: (بيني، وبيني)، وفيها يشدو الشاعر فيقول:

يا أَيُّها الوطنُ المُسافرُ
مِنْ مَرَايانَا، وحيداً
أَنتَ تَمْضي،
والرَّحيلُ دَمٌ يَئِنُّ
على قَصِيدي
شَجَرٌ تُطَالِعُهُ الرّمالُ، على دمي،
طَيْرٌ يُغَنِّي، والتَّوَجُّعُ، فيْ نَشِيدي.

ويستطرد الشاعر في عبراته الحرّى هذه فيقول في قصيدته إيّاها:

قِفْ أَيُّها الوطنُ المطاردُ، في دَمي
واسْكُنْ مَدَامِعَنَا العَتِيقَةَ؛
إنَّها غيثٌ تَبارَكَ حُزْنُهُ
مُعْشَوْشِبُ الآهاتِ
ملء الصِّدْقِ
دفّاقُ الضميرِ

إنّ هذه المقتطفات من قصيدة (بيني، وبيني)، لتوحي لقارئها وللمستمع، وكما يفضي عنوانها، أنها مناجاة ذات خضخضت لوعتُها صاحبَها فجاشت انفعالات فأفرغها الشاعر آهات كلّها تمنيات لوطن الشاعر، الوطن الذي يتمنى له الشاعر ويرجو المستقبل الزاهر. فجاء التعبير الشعري لِيَخْدِمَ غرضاً في نفس الشاعر مزدوجاً:

الغرض الأول: تطهير النفس عما ران عليها من أوصاب الحياة،
والغرض الآخر: وفاءً لحق وطن فيه وجد الشاعر ذاته في نضجه وصباه.
وفي قصيدة له طويلة بعنوان (مقامات عراقية) يقول الشاعر محمد عبد السلام:
بغدادُ لنْ تموتْ
يا قاتلَ الأطفالِ، والنخيلِ والبُيوتْ
الطِّفلُ باقٍ في خيالِ الأمِّ نَبْعاً دَافِقاً
كالرافِدَيْنْ...
النَّخلُ مخضرّاً سَيَطْلَعُ من خيالِ الماءِ
مشتاقاً إلى نَسماتِ دِجلَهْ
البَيْتُ يَبْقى، عند ذاكرةِ المدامعِ
في الجُفُونِ المُسْتَحِيلةِ
في الحَصَى الظَّمآنِ، في مجرى الفراتِ... إلخ القصيدة.

ففي كل قصيدة من قصائد ديوان: **من تجليات حي بن يقظان**، يروق للقارئ أن يسيح مع الشاعر محمد عبد السلام منصور سياحات، تتراءى من خلالها ما للشاعر من نفسٍ تنضح بالتجلياتْ، نفسٍ مسكونة بغامر الآهاتْ، بيد أنها نفسٌ عامرة بالتفاؤل والأمل، بكل ما في هذه الحياة.

إنّ المرء، أيها الشباب، ليقرأ في ديوان الشاعر محمد عبد السلام منصور الرمز المحبب المجنّح بالخيال المنفتح البعيد عن التَّصَنُّعِ والإبهام.

في ديوان: من تجليات حي بن يقظان يلفي القارئ ذاته وجهاً لوجه بين واقع معاش تَمَّت صياغةً وشْيِهِ بلغة شاعر متمكن استطاع ببراعة المبدع أن يجعل من قصائد ديوانه عناصر استهواء للقارئ بغية الاستمتاع بما انطوى عليه الديوان من أفانينِ الشعر المستكِّنَّة في تضاعيفه وفي ثناياه.

وبعد، أيها الشباب، فالوقت لا يسمح بأكثر مما ذكرناه عن هذا الديوان الخاص **بتجليات حي بن يقظان**، لكنني أدعوكم إلى مشاركتي في قراءته لترتشفوا من رحيق أزهاره الشائقات الماتعات.

7 – دعوة إلى وعي الذات

بقلم: الدكتور رشيد ياسين

حديثنا عن كتاب بعنوان: **دعوة إلى وعي الذات** للدكتور الأديب رشيد ياسين، الأستاذ بكلية اللغات في جامعة صنعاء. الكتاب من منشورات اتحاد الكتاب العرب لعام (2000).

يضم الكتاب هذا بين صفحاته البالغة مئةً وخمساً وخمسين صفحة، فصولاً في نظرية الدراما والنقد المسرحي.

يرى الدكتور رشيد ياسين أن المسرح العربي يمر ".. منذ سنوات طويلة، بحالة من الضياع والتخبط وقفت بينه وبين التحول إلى متعة ثقافية جماهيرية، كما هو شأنه في بلدان العالم المتقدم" ص 5.

ويعزو المؤلف هذه الحالة إلى عوامل متعددة، يمكن إجمالُها كما يلي:

1. ضحالة الثقافة المسرحية السليمة لدى كثير من العاملين عندنا في المسرح.
2. ضعف العاملين في المسرح من حيث اتصالُهم بالمسرح العالمي المتطور، وإنْ كان لدينا نصوص درامية مترجمة كثيرة، لكنها وحدها لا تكفي لخلق المثقف المسرحي المطلوب، كما يرى الدكتور ياسين.
3. افتقارُ المسرحِ العربي، بدرجة أو أخرى، إلى جمهور مستنير، يستطيع تمييز الصحيح من الزائف.
4. الحاجة إلى فئة من نقّاد المسرح المختصين الذين يكون بمقدورهم ممارسةُ النقد المسرحي نقداً بناءً يجعل العاملين في الساحة المسرحية أكثر تقويماً لنتاجهم المسرحي.

النقاط الأربع التي أوردنا ملخصها هنا يعتقد المؤلف الدكتور ياسين أنها أهم العوامل السلبية التي أبطأت في تقدم المسرح العربي. وآراء الدكتور ياسين هذه وما سنذكر لاحقاً لم تأتِ اعتباطاً ولا هو ساقها جزافاً. وذلك أن الدكتور رشيد ياسين معروف بنقده الأدبي الجاد والهادف، وهو معروف أيضاً بسعة إطلاعه على الثقافة العالمية، هذا فضلاً عن كونه شاعراً حساساً مرهفَ العاطفة.

يمضي الدكتور ياسين في كتابه **دعوة إلى وعي الذات**، إلى القول إنه خلال الأعوام المنصرمة كُتبتْ أكداسٌ من البحوث والمقالات حول قضية التراث والمعاصرة في الإبداع الفني. ورغم فوارق الانتماء الفكري والفني، فإنّ الذين عالجوا هذا الموضوع من النقاد والفنانين العرب، متفقون على أنّ الفن مُطالَبٌ بالتوفيق بين التراث والمعاصرة. وهذا طبيعي دونما جدال، إذ ليس بوسع أحد أن يدعو إلى فصل الأدب والفن عن جذورهما الضاربة بعيداً في أعماقِ التراث، كما لا يسع أحداً أن يدعو إلى تجاهل تيارات العصر وقضاياه والاتجاهات الفنية السائدة فيه.

وفي سياق حديثه عن وعي الذات وعن المسرح يثير الدكتور رشيد ياسين في كتابه هذا جملة من التساؤلات المهمة التي من شأنها أن تذكّر القارئ بضرورة التأمل والوقوف عند كل مرحلة من مراحل تطور الحياة الفكرية والمسرحية عندنا.

فمن الأسئلة التي أثارها الدكتور ياسين مثلاً:

ماذا نعني بالتراث؟

ما هي مستلزمات المعاصرة؟

ماذا نأخذ من تراثنا وماذا ندع؟

كيف نحافظ على هويتنا دون أن نقع في العزلة والجمود؟

يعرب الدكتور ياسين مؤلف كتاب **دعوة إلى وعي الذات**، عن أسفه حيال غياب نظرية شاملة تؤطر الإجابات على الأسئلة المثارة الآنفة، ولم يكن هناك أسلوب واضح يتم انتهاجه للتوفيق بين

التراث والمعاصرة، كما أنه – أعني الدكتور ياسين – لم يجد ما يدعو إلى المحافظة على الهوية المسرحية الخاصة بطبيعة الحياة العربية، بحيث تضمن للمسرح قوته وأصالته.

يسأل الدكتور ياسين فيقول: ما الذي يجعل قضية التراث والمعاصرة تستأثر بكل هذا القدر من الاهتمام؟

فيجيب على سؤاله هذا بقوله: "إنّ السبب واضح، فنحن لم نوفَّق حتى الآن في إقامة علاقة متوازنة بيننا وبين الثقافة العالمية المعاصرة العلاقة... التي تضعنا في مستوى عصرنا، من جهة، وتحفظ لنا أصالتنا القومية، من جهة أخرى، ويبدو لي – والكلام للدكتور رشيد ياسين – أن في مقدورنا أن نميز مرحلتين مختلفتين من مراحل العلاقة بيننا وبين الثقافة العالمية – والأوروبية الغربية بوجه خاص" اهـ، ص 8 – 9.

وهنا يشير الدكتور ياسين إلى المرحلتين اللتين قصد إليهما في مضمون حديثه في كتابه **دعوة إلى وعي الذات**:

المرحلة الأولى هي المرحلة التي امتدت حتى منتصف القرن العشرين على وجه التقريب. وقد قصّر المسؤولون عن المسرح في هذه المرحلة عن الارتفاع بالمسرح إلى مستوى العصر. والثانية هي المرحلة التي نعيشها الآن: المرحلة الحالية. ويرى الدكتور رشيد أن التقصير فيها واضح من جانب المعنيين بالمسرح والتقصير هذا يتجلى في الابتعاد عن الأصالة.

ففي كتاب **دعوة إلى وعي الذات**، أودع الدكتور رشيد ياسين أفكاراً انثالت عليه من الذكريات، وقد ضمّنه من ثقافته وحماسه للمسرح ما يملأ لو أراد صفحات وصفحات. فهو يشخّص، ويسأل، ويجيب. فلا يدع قارئ كتابه هذا تائهاً في متاهات، ولا يتركه حائراً إزاءَ ألغازٍ بغير إجابات.

فالدكتور رشيد يجيب عن جوانب التقصير الوارِدِ ذكرُها في المرحلتين الآنفتين كما يلي إذ يقول: خلال المرحلة الأولى كان دنوُّنا من الثقافة العالمية متهيباً يشوبه الحذر، ويحدُّ منه خوف مزدوج: خوفٌ من انتهاك قداسة التراث والخروج على أشكاله وتقاليده الفنية، وخوفٌ من اقتحام ميادينَ إبداعيةٍ جديدة لم يطرقها أسلافنا من قبل ولا نعرف عنها الشيء الكثير. ولذلك اتسمت حركة التجديد الأدبي والفني عندنا خلال هذه الفترة بالتحفظ، فوقفت الرواية العربية عند حدود واقعية القرن التاسع عشر. وكلام الدكتور ياسين ينطبق على الشعر وعلى الفن بوجه عام كالرسم بأشكاله المختلفة وضروب مدارسه المتعددة.

لكن الحركة الإبداعية العربية استعادت عافيتها بعد منتصف القرن العشرين وفي بداية القرن الحالي. فَعَدَلَت الحركة الإبداعية العربية عن تهيّبها وتخلّت عن مخاوفها من التجدد والتجديد، فاندفعت إلى ألوانٍ من التجديد الجريء شملت جميع أوجه الإبداع الفني وغيّرت من معالم الثقافة العربية بشكل عام والرواية على نحو خاص.

في كتابه **دعوة إلى وعي الذات**، يأخذ الدكتور رشيد ياسين، قارئه في سياحة فكرية وعلمية يجوب خلالها آفاقاً فساحاً تَلَذُّ للقارئ وتهم المثقف. ولعل عنصر المتعة في كتابه هذا يكمن في حقيقة أن الدكتور ياسين استطاع أن يستوفي إلى حد بعيد جميع جوانب التشويق، ومنها تمثلاً لا حصراً:

أولاً: إن الدكتور رشيد ياسين تحاشى النزعة السردية المجردة المملّة.

ثانياً: إنه تفادى الركون إلى النصح الملغوم الذي قد يثير حفيظة مَنْ يظن أنه من أسباب التعويق أو التقصير.

ثالثاً: إنه تحامى الإطناب فيما لا طائل منه.

رابعاً: جاء بأمثلة جمع فيها بين التراث العربي والتراث الغربي تُبيّنُ أن الفكر الإنساني وحدة لا تتجزأ.

خامساً: اجتهد ما وسعه الاجتهاد في تشخيص جوانب القصور واقترح لها الحلول.

سادساً: بيّن الدكتور ياسين أنواعاً من الرواية كالواقعية، والشعرية، والرومانسية، والمستقبلية، ثم بين علاقتها بأنواع المسرح كالمسرح الجاد، والمسرح العبثي.

سابعاً: ضمّن الدكتور ياسين كتابه **دعوة إلى وعي الذات.**

مقالات رصينة كتبها على مدى أكثر من عقدين من الزمان، وكلها تكوّن وحدة عضوية تنتظمها منهجية فكرية: غايتُها التوجُه نحو نهضةٍ مسرحية، باعتبار المسرح الجاد مدرسةً ثقافيةً مجتمعية، من شأنه تعميقُ الثقافة، ونشرُ الوعي، وتعميمُ المعرفة، وصقلُ الذوق.

لذا أنصح أعزاءنا الشباب بقراءة كتاب **دعوة إلى وعي الذات** للاستمتاع بما انطوى عليه من نضج فكري، ورصيد علمي، وثراء ثقافي.

8 – كتاب صنعاء

شعر الدكتور عبد العزيز المقالح

بطلب من المستمعين أن يفرد حديث خاص لكتاب صنعاء، فالحديث هنا بناء على طلباتهم، لذا كتبته بأسلوب مختلف.

حديثي إليكم، أيها الشباب، عن ديوان شعر، آثر مبدعُه الدكتور عبدُ العزيز المقالح تسميتَه (كتاب صنعاء). ديوان شعر صنعاء، أو كتاب صنعاء، فلا فرق، إذ إن صنعاءَ هي مرتكزُه ومدارُه.

هذه المدينةُ العجيبةُ، القديمةُ الجديدة. يضم الديوانُ: كتابُ صنعاء، بين صفحاته البالغة مئتين واثنتين وأربعين صفحة، ستاً وخمسين قصيدة نشرته مؤسسة رياض الريس في لبنان عام (2000) للميلاد.

بعد هذا التعريف بالكتاب الديوان، تعالوا معي في سياحة فكرية عبر صفحاته المونقة، واستمراء لفظاته السائغة المشرقة.

يستهل الشاعر المقالح ديونَه: كتابَ صنعاء، بعبارةٍ هي: (إليها كما رسمتها مخيلة الطفولة والكهولة). فالعبارة هذه قد توحي لقارئها أول ما توحي أن في ذهن الشاعر ما يُشيرُ إليه ضمير الغائبة، ولعل مَن يقرأُ الديوانَ لأول وهلة يترسخ في عقله اعتقاد كهذا بعد أن يواجه في الصفحة التالية قولَ شاعِرنا:

(كانتِ امرأةً
هبطتْ في ثيابِ
الندى
ثم صارتْ
مدينة)

فهذا استدراج بارع يبتكره الدكتور المقالح ليوقظ في نفس قارئِهِ غريزةَ حبِّ الاستطلاع ونوازعَ الفضول ليتجوّل معه في ريادته الشعرية. ولكلِّ قصيدة من قصائد الديوان الست والخمسين هذه، كيانُها المركّب وهو ابتكار لم يسبق الشاعرَ به أحد من قبل. فكأن الشاعرَ يخاطبُ قارئه فيقولُ له: لا تنعكس الذات إلاّ عن مدى عميق، ولا ترتعش الأناملُ إلاّ أمامَ أبجديةٍ جبّارة ولا تستوقف القارئ إلاّ قريحة فيّاضة وإن المرء ليتهيّب من المفاضلة بين قصائد: كتاب صنعاء لمبدعه الشاعر الدكتور عبد العزيز المقالح. فكل قصيدة نظم فريد يتطلبُ البيتُ الأولُ فيه البيتَ الذي يليه.

فصنعاء لشاعرنا المقالح:

هي عاصمةُ
الروح
أبوابُها سبعةٌ
– والفراديسُ
أبوابُها سبعةٌ –
كلُّ بابٍ يحقّق أمنيةً
للغريبْ
من أي بابٍ دخلتَ
سلام عليكَ،

سلام على بلدةٍ
طيبٌ ماؤها طيبٌ
في الشتاءاتِ صحوٌ أليفُ
وفي الصيف قيظٌ خفيفُ
على وابل الضوءِ
تصحو
وتخرجُ من غَسَقِ الوقت
سيدةً
في اكتمالِ الأنوثةِ
هل هطَلَتْ من كتاب الأساطير؟
أم طلعت من غِناءِ البنفسجِ؟
أم حملتها المواويلُ
من نبع حُلُمٍ
قديمْ؟!

لا يرتوي ظمأ الشاعر المقالح بهذا الوصف المستأثر، بل إنّه ليُقْنِعُ القارئ أن صنعاء (هي عاصمةُ، الروحِ)، فيتبع القولَ بالقولِ:

مكةُ عاصمة القرآنْ،
باريس عاصمةُ الفنْ،
لندن عاصمةُ الاقتصاد،
واشنطن عاصمةُ القوة،
القاهرة عاصمةُ التاريخ،
بغداد عاصمةُ الشعر،
دمشق عاصمةُ الورد،
وصنعاء عاصمةُ الروحْ
في أعماقها كنز مخبوءٌ
للحلم
وفي رحابِها تقامُ الأعراسُ البهية... إلخ القصيدة.

ففي كل قصيدة يصف لنا الشاعر المقالح في ديوانه: كتاب صنعاء مَعْلَمَاً من معالم صنعاء، ويذكّرُنا بتأريخها التالد، وبماضيها البعيد، وحاضرها الخالد. فهي مدينة عمرها (في عمر سام بنو نوح)، وجبل غَيمان، أحد جبالها المطلّة، ظلموه إذ سَمَوْهُ (نُقُم)، فيتساءل شاعرنا:

هل يستردُّ هُويتَهُ
واسمه
ويرى الناسُ ظلَّ ابتسامتِهِ
حين تومي إليهِ أصابعُهم
ذاك – غَيمانُ –
يضرِبُ عمقَ الفضاءِ بهامتِهِ
والقصائدُ تحرُسُ أحلامَ طفلتِهِ

الرائعهْ.

فالشاعر المقالح في سياق قصائد ديوانه: **كتاب صنعاء** إنما هو مبدع أنتج نصوصاً وجدانية، مبعثُها العاطفةُ التي نسجت بواعثَها ملامحُ صنعاءَ ومعالِمُها الآسرة الشامخة. والعاطفة، كما تخبرنا أدبيات علم النفس، منشؤها انفعالات تتالى كالشعاع فتنصب كلها في مرتكزٍ جميل وفي مكان يأخذ بلب واصفه، ويشغل باله، فيحيط بالأديب من جميع أقطاره، ويأخذ من الشاعر جل أشعاره: كيف لا والدكتور المقالح، وهو الشاعر والأديب، قد أمضى حتى كتابة كتاب صنعاء أكثر من خمسين عاماً يتملى معشوقته صنعاء صباح مساء. فلنستمع بل فلنقرأ ما يقوله شاعرنا في القصيدة الثامنة والعشرين من ديوانه المذكور:

هي واضحةٌ مثل كفٍّ صغيرٍ لطفلٍ
ومبهمةٌ كالأساطير
خمسون عاماً من العِشقِ
لم يقرأ القلبُ في الجسد المتفتح للضوءِ
إلاّ خطوطاً تداعبُها الريحُ
أو ألقاً يتناثر فوق النوافذ
يا حَطَبَ القلب أوقدْ نشيدكَ
وارحلْ بعيداً
إلى حيث تُخْفي الجميلة
أسرارها
وتمهّلْ إذا ما وَصَلْتَ (الكَنز)
لا تفضح السّرَّ
إنّ الهوى كَلِفٌ بالرموزْ

وجمال القصيدة هذه، كما في سائر قصائد الديوان، قد قطّرتها عاطفة مشبوبة بصنعاء اقترنت، وبجلال ماضيها وحاضرها ارتبطت. ولاكتمال الصورة الوجدانية والفنية الرائعة هيا نقرأ استكمال القصيدة إذ يقول الشاعر المقالح:

يقول العام التاسع والخمسون
إنّ هذا الكهل حين يتمكن من اكتشاف روحه
قد يتمكن من اكتشاف بعض الأسرار
المدونة داخل الأبواب السبعة لهذه المدينة
التي لا تخضع للامتثال أو الانكشاف
وبلا خجل أقول: إنني بعد كل هذا الزمن
لا أستطيع الاقتراب من دهاليز الروح
ولا من قراءة الكتابات الضوئية
المدونة على الجدران العتيقة لصنعاء
ويصوّر لي الوهم – أحياناً – أنَّ طفلَ المساء
يستطيع – بسهولة – أن يقرأ ما وراء الغيوم الفضية
التي تقترب من جبالها الصخرية الملساء.

فالدكتور المقالح في قصيدته هذه وفي رأيه فيها، وفي كل قصيدة من قصائد ديوانه هذا إنما برع في ما نسميه في علم النفس بـ (الأفكار الجامعة)، وفيها ينأى المرءِ عن تفسير الأشياء أو التعبير عنها على أنها من طوارئ الحظ والمصادفة، يعمد بدلاً عن هذا إلى استمزاج روائع الوعي وانثيالات اللاوعي واستقراء الماضي والواقع ومن ثمة إفراغها في سبك لا يأتي بمثله إلاّ الجهبذ المتمكن المتمرس.

إن شاعرنا المقالح كَلِفٌ بصنعاء، مغرمٌ بها، وبها يتغزل. فهو الغَزِلُ الذي بشعره لا يؤرخ حياته بمعزل عن صنعاء التي أحبها بكل كيانه، وتعلّق بها ولا يزال بكل وجدانه، لذا هزّته وما فتئت تهزه موحياتُها فأوحت إليه بهذه الرائعة الفريدة في السياقات الشعرية ومضامينها. فتجلت له صنعاء أثيرة في بناء عالم جديد، وفي كون جديد، كونها عاصمة وطن يتجدد متحدياً طوائح الزمن.

ففي (صمتِ أحجار) صنعاء تقرأ (حشرجات العصور). فلنقرأ القصيدة التاسعة والعشرين التي يقول فيها الشاعر المبدع المقالح:

مثل (كانَ)
على هيئة الزمن المتواري خلف القرون
تجيئُكَ صنعاءُ شاحبةً
تتوكّأُ عَكّازة الوقت
لا تتذكّر شيئاً عن الأمس
لا تتذكر شيئاً من اليوم
أسوارها تتآكل
آجرّها يتقشّر
أقرأُ في صمتِ أحجارها
حشرجاتِ العصورِ
أرى رعشةَ الخوفَ عبر شبابيكها
وأشم الكآبة في لونِ أحداقها
الناصلة

فالكآبة لا تقارب الحجر ولا تلامس الصُّوان، وإنما هي تمسّ البشر، وتؤوف الإنسان. وشاعرنا بهذا أدرى. بيد أنه عمد إلى المجاز فشبّه صنعاء بفتاة هيفاء لِيَصْدُقَ القارئ أنه مشبوب العاطفة المعلّقة بفتاته المتأَلِقة – صنعاء –.

ففي بناء بل في إبداع قصائد كتاب صنعاء الست والخمسين قد طاوع التوفيق الدكتور المقالح في أن يؤالف بينها وبين مضامينها كأروع ما تكون المؤالفة وعلى أكثر من مستوى من مستويات البناء الفطري المتدفّق من فيض شاعرية حساسة رسالتُها موجهةٌ إلى الإنسان الباحث عن الحقيقة الفوّاحة. فشاعرنا قد أفصح عن مكنونات نفسه في صُعُدٍ شتى منها تمثلاً لا حصراً:

1. مستوى النفس التوّاقة إلى الكشف عن مخبوء الزمان والطلعة إلى كل ما فيه الجمال.
2. مستوى الواقع الزماني عبر تتابعات أحداثه وبيان مخبوءات الحدثان.
3. مستوى الواقع الاجتماعي وما حفلت به صنعاء من أنماط مجتمعية واجتماعية ميَّزتَها بطابعٍ به تفردت وتميزت.
4. مستوى التلاحق والتلازم التكاملي الذي يؤكد عليه اليوم علم النفس الحديث.
5. مستوى المنطق التاريخي الذي يشهد بمدوناته الراسيات على أزلية هذه المدينة وخلودها الشامخ في هذه الحياة.

فشاعرنا عبد العزيز المقالح قد حالفه التوفيق فوظّف عملية الصنعة الأدبية والموهبة الشعرية فزاوج بين المرئي والاستحضار، وبين الخفي من أشجانه وما تأجّج في ثنايا روحه ووجدانه. فأَصّل كينونة ذاته شفّافة تتراءى على صفحات مرآةِ مدينةٍ عَشِقَها إذ هي أشبلت عليه فبادلها إخلاصاً بإخلاص وعبّر لها عن وفائها بوفاء خاص تجلى شعراً وتجسّد شكراً. وهذا شأنٌ لا يستطيعه سوى شاعر موهوب يعرف كيف يَكوُنُ الشعرُ إنساناً، وكيف يكون الشعر قصيدةً أخّاذة، وكيف يخلّد الشاعر بموهبته الوقادة شوامخَ بلدته وأمجادَ أمتِه.

فلنقرأ هِيام الشاعر المقالح بصنعاء إذ يحيّيها تحية الصباح حيث يقول:

صباحاً جميلاً
ومعذرةً يا ابنةَ الشمس
لا شيءَ في شَفَتيّ سوى قُبلَةٍ
من كلام
ولا شيء تحملُهُ راحتي غيرَ باقةِ حُبٍّ
مدلّهةٍ
كنت خبأْتُها في دمي
وأتيت لأزرعها تحت أقدامك العاريات
ولا شيء في وتري غير – دندنةٍ –
شاء حظي التقاط – مقاماتها –
وهي عابرةٌ
تحت شباكِ بيتٍ قديم
أتيتُ لأنثرَ بين يديك مقاطعَها
وأقولَ لمن ترتدي حُزْنَ عيني
وأشواق قلبي: سلاماً سلاماً

وبعد هذه المكاشفة عن هذا الحب لهذه الحسناء: هذه الجميلة صنعاء، يستأنس الشاعر بما أثبتته المدونات، وما قاله الرحالة الثقات، ومنهم أمين الريحاني، إذ يقول الدكتور المقالح توثيقاً لمكانة صنعاء:

شاعر ورحالة عربي اسمه أمين الريحاني
كان قد رأى
وعاش في نصف المدن العالمية
الحديثة
حين أطلّت صنعاءُ من جَفْنَيهِ صرخ:
أي صنعاء،
مثّلَكِ لنا التاريخ فكنتِ مليكة الزمان
ومثّلَكِ لنا العلم فكنتِ يوماً ربّة العرفان
ومثّلَتكِ لنا الأساطير فكنتِ سيدة الإنس والجان
هذه بيوتُكِ العالية وقصورُكِ الشاهقة
فما كذبَ التاريخُ.
وهذا جمالكِ الطبيعي وبهاؤكِ العربي

فما كذبَ الشّعرُ.
ويؤمِّن الدكتور المقالح على قول الريحاني فيصفه:
وفي كل صباح تستيقظ العصافير باكراً
لتقول: (وما كذبَ الريحاني!!).
ورأي الريحاني بصنعاء، والذي ذكره الدكتور المقالح هنا، جاء ليعزز مشاهدات رحالة آخرين إلى صنعاء سبقوه، ومؤرخين وجغرافيين أدهشهم من صنعاء ما شاهدوه، من هؤلاء نذكر ياقوت الحموي خص صنعاء بصفحات مطولات من كتابه (معجم البلدان) وابن بطوطة كتب في كتابه المعروف بـ (رحلة ابن بطوطة)، بإعجاب ودقة عن صنعاء.
وفي ديوان شعرٍ آخر له، تغنى الشاعر المقالح بل قل يتغزل بصنعاء إذ يقول:
هي صنعاءُ حانةُ الضوءِ فادخلْ
بسلامٍ، وقبّل الأرض عشرا
واعتصر من جمالها الفاتن البكر
رحيقاً يضيفُ للعمرِ عمرا.
وفي القصيدة السادسة والخمسين – وهي الأخيرة في كتاب صنعاء وديوانها، أنطق الشاعر مدينة صنعاء:
آجرّها ومآذنها بشكر الله لما حباها به من بهاء وجمال، وما أنعم به عليها من ماء ونوال، فلنستمع لشاعر صنعاء إذ يقول:
كلُّ آجرّة فيكِ
كلُّ المآذن، كل الحجارةِ
تشكره،
تشكرُ الله
أجرى مياه الجمالِ بآجرّها ومآذنها
ومنازلها.
والقصيدةُ،
كلُّ التماعةِ حرفٍ بهذي القصيدةِ
تشكره،
تشكر الله ألقى بها قطرةً من رذاذ
تناثر من بحر أندائِه
فأضاءتْ
ومن ماءِ قلبي، استوت
موجةً، موجةً
وكتاباً، كتاباً.
لقد وُفِّقَ شاعرنا الأستاذ الدكتور عبد العزيز المقالح فبما اختطه من جديد في شعره هذا الذي ضمنه كتاب صنعاء، إذ وظف موهبته الشعرية والأدبية في هذا التصوير النفسي والقصدي الحافل بالحركة والدينامية وباللمسات الإنسانية، وهي كلها من عواطفه تتدفق ومن وجدانه تنضح، إلى صنعاء قدمها أرقى هدية.

فإليكم، أيها الشباب من كلا النوعين، أَقدِّم **كتاب صنعاء**، وأنا واثق أنه سيجد من عنايتكم به، وانكبابكم على قراءته وتفهمه، ما يعبّر عن حبكم ووفائكم لهذه المدينة، كما أحبها وعبّر عن وفائه لها الشاعر الدكتور المقالح صاحب كتاب صنعاء، وهي بزينتها ترفل عاصمةً للثقافة العربية لعام 2004.

9 – الطاقة الإنسانية

تأليف: أحمد حسين

حديثنا، أيها الشباب، حول كتاب بعنوان (الطاقة الإنسانية، تأليف أحمد حسين، كان قد نشرته المكتبة العصرية في بيروت، ولم يُذكر له تاريخ محدد لنشره. فهو كتاب يرقى أن يكون كتاباً تراثياً، وقد قدّم له مقدمة وافية الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد.

ينطوي الكتاب في صفحاته الأربعِ مئةٍ وتسعٍ وخمسينَ صفحةً على موضوعات شتى خاض المؤلف في عُبابِ ألوانها وأنواعها خوضَ باحث متمكّن، وقد احتوت الموضوعاتِ الكثيرةَ هذه عشرةُ فصول، ضمَّ كلُّ فصل منها سلسلة من العناوين الفرعية وتنتظمها وحدة موضوعية جعلت من الكتاب لوحة مرسومة قِوامُها جمالُ الفكرِ والإنسان ومستزادُها استكشافُ الحقيقة وما يكمن وراءها من تكوين بنياني.

إنّ موضوعَ الكتاب، كما جاء في مقدمة الأستاذ عباس محمود العقاد: "هو تدبير طاقة النفس الإنسانية بوسائل الإرادة والمعرفة، وطريقتُه تَظهر للقارئ من كلمات قليلة تحت عنوانه كتبت على منوال المعادلات الرياضية. فكل هدف إنساني بحسب درجة الضرورة ووضوح الصورة الذهنية، مع شدة التركيز، هو طاقة تتحقق في الخارج عند غياب الظروف المعاكسة. ويستطرد الأستاذ العقاد في مقدمته فيقول: ".. ويدل وضع الطريقة بصيغة المعادلة الرياضية على أن الكتاب برنامج علم وعمل، وأن المؤلف يرسم به – هندسة – قابلة للتعليم والتطبيق، ويعامل فيه – الطاقة النفسية – كما تُعامِل كلَّ طاقة لها هندستها العملية، وفي وُسْعِ من يتعلمها أن يستقلَّ بتطبيقها ويَصِلَ بها إلى نتيجتها" اهـ.

فكتاب الطاقة الإنسانية هذا، كما يذكر مؤلفه أحمد حسين، يتناول في مضامين فصوله، الإنسانَ في مواجهةِ الكونِ الخارجي وأيُّهما مركزٌ للآخر. وهو محاولة لإعادة مفهوم الإنسان إلى ما كان عليه منذ كان إنساناً... حراً مختاراً مريداً فعالاً ينطوي على القدرة التي تحقق كل إرادته وتخلق أعماله في الحدود التي لا تتعارض ونواميسَ الطبيعة.

وهو محاولة من المؤلف لوضع قانون يحكم العلاقة بين ما يدور في ذهن الإنسان من صور، وبين تحقق هذه الصور بالفعل في الخارج عن طريق الطاقة الإنسانية الكامنة في كلِّ إنسان بالفطرة، كجزءِ من طاقة الطبيعة الكبرى إذا تحدّثنا بلغة المادة، أو قَبَسٌ من رَوْحِ الله إذا تحدّثنا بلغة الدين والإيمان.

حاول مؤلف كتاب **الطاقة الإنسانية** أنْ يحاور القارئ محاورة تُقْنِعُ القارئ على أن العلوم المادية والطبيعية إنما هي علوم من ابتكار قرائح الإنسان. ولكن الحديث لا ينفك يتردد عن عظمة الإنسان وقدرةِ الإنسانية التي لا حدّ لها، وعن المستقبل الذي ينتظر الإنسانية.

الإنسانية، كما يرى المؤلف، كلمة مجردة لا تعدو أنْ تكون وصفاً يطلق على الأعمال التي تقع من الإنسان فتوصف بها إنسانيته، للدلالة على مجموع الناس للفصل بينهم وبين سائر الكائنات الأخرى من حيوانية ونباتية ومادية، فليس هناك شيء مادي اسمه الإنسانية، وإنما هناك شيء مادي اسمه الإنسان.

هذا الإنسان الفرد هو الذي يجب أن يكون له شأن، وهو الذي يستحق أن يوضع في الميزان. وهذا يستلزم أسئلة تليق بالإنسان وفي ضوئها يتحدد دور الإنسان. من هذه الأسئلة مثلاً:

- ما هو؟
- ما قدره؟

- ما طاقته؟
- ما هو مكانه في هذا الكون في حد ذاته واستقلاله عن غيره من بني البشر حتى ولو لم يكن في جماعة، حتى ولو كان في صحراء موحشة أو جنّة مورقة؟

هل الإنسان حقاً هذه الهباءة الهائمة من التراب وَسْطَ طبيعة عمياء هوجاء، أم أنّ هذا الإنسان الفرد هو أعظم ما في هذا الكون الطبيعي من طاقة، وأنّه يعلو على كل ما يحيط به من كائنات بما أُوْدِعَ فيه من سرِّ العقلِ وهو سرُّ الوجود، وعن طريق هذا السرّ باستطاعة الإنسان أن يفعل ما يريد حسبما تقتضيه نواميس السماء، وعلى وفق الأعراف الأخلاقية في الأرض وفيما يحيطها من فضاء؟

وإذا كنا نقول إنّ بإمكان الإنسان أن يسبح فوق بحر المعرفة، فإن نيوتن الذي كان العالم ينظر إليه فيه على أنه أعلمُ العلماءِ يومذاك، يقول لنا: "لستُ أدري كيف ينظر العالم إليّ، ولكن أتراءى لنفسي كما لو كنت غلاماً يلهو على شاطئ البحر، وأُسلّي نفسي بين الحين والآخر بالعثور على حصاة أكثر ملامسة أو صَدَفة أجمل من المعتاد، بينما كان محيط الحقيقة العظيم يمتد أمامي دون كشف" اهـ.

في كتاب **الطاقة الإنسانية**، يتحدّث المؤلف أحمد حسين عن الإنسان بين اليوم والأمس. ويثير أسئلة مفادها مجتمعة، بل يمكن إجمالها بسؤال واحد هو: هل أصبح الإنسانُ اليوم أقدرَ على حلِّ ما يعترضه من مشكلات الحياة من الإنسان في العصور الماضية؟

فأمّا أنّ لكل إنسان هدفاً يهدف إليه، فذلك هو المشاهَدُ والمحسوس، وهو مبعث النشاطِ الإنساني كله. فالطفل يهدف إلى أن يكبر، والكبير يهدف إلى المحافظة على ذاته، ويعمل على تكوين أسرة لإنجاب أطفال يرثونه من بعده، وهو لا يقف عند المحافظة على الذات بل يرنو ببصره إلى آفاق أبعد.

والسؤال الآن: ما الغاية من ذلك كله؟

الجواب على ذلك يحتويها الكتاب هذا بين أسطر صفحاته، وهو جواب يقطع بأن الإنسان يندفع نحو غاية، أو أنه مدفوع لتحقيق غاية، والنتيجة واحدة في كلتا الحالتين، وهي أنّ له هدفاً وأنه يسعى إلى غاية.

ويتساءل المؤلف أحمد حسين في كتابه **الطاقة الإنسانية:**

- هل حقق الإنسان أهدافه؟
- وهل هو بلغ غايته؟
- وهل أمّن كل طموحاته العلمية منها والمعنوية والمادية؟
- وهل تخطّى الإنسان دور الوحشية وشريعة الغاب؟

يخلص المؤلف إلى أن كلّ ما يدور في عقل البشر، إمّا أنه كان، أو أنه كائن، أو سيكون. وأن المؤلف أحمد حسين يجيب على الأسئلة الآنفة بقوله الآتي: ".. لما كنت لا أخاطب في هذا الكتاب قرّاءَ العربيةِ دون غيرهم، أو من يُدينون بدين الإسلام أو المسيحية، أو من يعيشون في الشرق دون الغرب، وإنما أخاطب البشرية كافة، أخاطب – الإنسانية – في معناها الواسع الاصطلاحي، وأنها مجموع الناس منذ كانوا وأينما كانوا، فقد نحيت عقيدتي الشخصية وحاولت أن أعالج موضوع البحث – هذا – لا من زاوية دين معيّن، أو الأديان في مجموعها أو من زاوية العلم الطبيعي، ولم أقصر بحثي على مجتمع دون مجتمع، ولم أهدف من ورائه إلى تغليب مذهب على مذهب أو فكر على فكر، أو تفضيل نظام على نظام، فكل الأفكار، وكل المذاهب، وكل الأديان، وكل النظم، وكل الأجناس والشعوب، وكل الحضارات والمدينات، كلها عندي سواء في أهميتها، في

قدرها واعتبارها، لأنها من نتاج الإنسان، الإنسان – كما أتصوره – الذي لا يعلو فيه فرد على آخر مهما كان ما يدّعيه لنفسه من علوٍ وحضارة وارتفاع، ولغيره من التخلف والبدائية والحضارة".

فالمؤلف أراد بهذا – كما هو واضح من كلامه – أن يعبِّر عن حيادِهِ في البحث، وأن يُعرب عن تجرّدِهِ عن الهوى الشخصي والذاتي. وهذا ما ينبغي أن يُلزم به نفسَه كلُّ باحثٍ عن الحقيقة.

إنّ من يقرأ الكتاب يدرك بجلاء أنّ المؤلف إنما يسعى وراء (نسبية المعرفة) التي هي ضالة العالِمِ والمتعلم على حد سواء. فهو – المؤلف يتحرى الحقيقة كما تَصَوَّرَها، وكما استقرت في رَوْعِهِ، واتضحت صورتها في مخيلته.

ويتحدث أحمد حسين في كتابه هذا: **الطاقة الإنسانية** عن الثواب والعقاب في حياة الإنسان، وفي مشكلة في الحياة، وفي تصرفه الأخلاقي والاجتماعي.

فهو يذهب إلى أن فكرة الثواب والعقاب تقوم على عدة عناصر؛ العنصر الأول أنّ أعمال الإنسان لا يمكن إلاّ أن تنقسم إلى خير يعود على شخصهِ وعلى الآخرين من بني الإنسان، وإلى شرٍّ يؤذيه ويؤذي غيرَه من بني الإنسان، والأقوام للجماعة إلاّ إذا دعت إلى الخير وكافأت عليه، وحظرت الشرَّ وعاقبت عليه. هذه الفكرة في كل دين. وهذه الفكرة في كل منحى أخلاقي، وفي كل اتجاه اجتماعي. ولا يمكن لأي إنسان سوي أن يقول بغير ذلك، أو يدعو لغير ذلك. وتقدّم القوانين التي تسنُّها كلُّ الأمم والجماعات شاهداً على أنّ هذا الذي دعت إليه الأديان لم يكن وهماً ولا سذاجة، وإنما هو ضرورة إنسانية، واجتماعية، وعمرانية.

إن موضوع كتاب **الطاقة الإنسانية**، لكاتبه أحمد حسين ليؤكد فيه مؤلفه أن الإنسان مستودع لما نعرف من الطاقات وما لا نعرف؛ وأنّ الإنسان طاقة في حالة تركيز. ويؤكد المؤلف أن التعريف العلمي للحياة هي أنها (نظام من الطاقة). وليس هناك من ينازع، في أن الإنسان منطوٍ على شتى صنوف الطاقات بالفعل. ويخلص المؤلف في ما ساقه من القواعد العلمية، فيعدّها تأكيداً لقانون الطاقة الإنسانية التي يتصورها تتجسّد في مظاهر شتى هي:

1. كلُّ إنسان ينطوي على مجموع نواميس الطبيعة وقوانينها التي لا يقوم الوجود إلاّ بها.
2. كلُّ إنسان ينطوي على كل ما في الكون من طاقة.
3. يستقبل كلُّ إنسان الطاقة ويرسلها بغير حاجة إلى واسطة.
4. جسمُ كل إنسان وعَقْلُهُ ينطويان على الأسس التي تقوم عليها أي آلة.
5. لا تقاس فاعلية أي آلة بضخامتها أو وزنها أو المادة المصنوعة منها.
6. تضعف قوى الإنسان كلما اعتمد على الآلات، وتقوى كلما استغنى عنها.

هذه القواعد يعززها الرأي الذاهب إلى تأكيد قانون **الطاقة الإنسانية**، الذي يصوغه المؤلف بشكل معادلة رياضية هي:

أي هدف إنساني × درجة ضرورته = وضوح صورته في الذهن.

فالطاقة النفسية، يا شباب، لا حدود لها عند الإنسان، وهي بين جنبي كل منكم كائنة، فوظفوها في مضمار الخير، والنشاط الجاد، وسَتَحْمَدون يوماً عقباها، وسَيَحْمَد لكم وطنكم حسن العقبى كما ترتضونه وهو عنكم في النهاية يرضى.

10 – كتاب القرية

شعر الدكتور عبد العزيز المقالح

وهذا أيضاً بناء على طلب المستمعين. لذا كتبته بأسلوب آخر.

كتاب القرية هذا، يا شباب، إنما هو ديوان شعر ضخمٌ يضم بين غلافيه ثلاث مئةٍ واثنتين وعشرين صفحةً، وقد اقتسمت صفحاتُه هذه سبعاً وسبعين لوحة: أي قصيدة. و**كتابُ القرية** أو ديوان الشعر هذا صدر عن مؤسسة رياض الرَّيس في بيروت عام (2000) للميلاد.

كل لوحة من لوحات الديوان السبع والسبعين تحكي لقارئها موقفاً به تتفرد دون أخواتها الأخريات. وكلمة (تحكي) هنا أذكرها في ما يسمح به المجاز المرسل ذو الشأن في خصائص القصيدة التعبيرية والتعبير النثري. ذلكم أنّ خيالَ الشاعر وقوة بلاغتِهِ يمكّنانه من إنطاق كل ما تقع عليه عينُهُ وكل ما يُدْركه بحواسه ويُحسه بوجدانه ومشاعره، فيحيله يتنفس الحياة، ويُلبسه نزعةً إنسانيةً ذات واقعية فوّاحة.

ففي القصيدة الأولى، أو اللوحة الأولى كما يحلو لشاعرنا المبدع الدكتور المقالح أنْ ينعتها وينعت غيرها من القصائد الأُخر، إيماءٌ إليك من الشاعر وكأنه يحاورك على المدى، وإليك يتحدث عما تراه أنت ويراه، إذ هو يقول:

مثل صفصافةٍ لا تُغادِرُ أوراقَها
تستقيمُ على جبلٍ باذخٍ
وتسمح عن جبلٍ آخرٍ غيمةً
تلكَ قريتُه
مثل موّالٍ اصطدمتْ بشظايا من الضوء
أنغامُهُ
وهوى ريشُهُ
فاستقرّ على الأرض مستجمعاً ذاته.
مثل أغنيةٍ سكنتْ قمةً
عَشِقَتْ وادياً
فاستراحتْ على السفح
حاملة من ذراها الأساطيرَ
والماءَ،
واقفة مثل سيدةٍ لا تشيخ محاسنُها
لا تكفّ عن الحملِ
مورقة في الشتاءِ وفي الصيفِ
مولعة بالولادةِ
مولعة بالرضاعةِ
مولعة بالندى
تلك قريتُهُ العَذْبَةُ الهادئةْ.

هل استمتعتم بل أرأيتم إلى هذا النسق البارع من الوصف المنسجم لقرية شاعرنا الذي أنجبته ليكون شاعراً ذا نبوغ خاص به ينماز. فهي قرية وهبته الحياة فوافاها بالوفاء والولاء. فالشاعر الكبير

الدكتور عبد العزيز المقالح، في قصيدته هذه، وفي مجمل قصائد: **كتاب القرية** هذا، إنما يروي لنا ولكل من يقرأ هذا الديوان، كيف يُقَوّي إحساسَهُ وشعورَهُ بالذات، وكيف ينمّي وعيه بهذه الذات وبكل ما في الحياة.

وعي الذات عند شاعرنا المقالح أطلّ عليه من (نهار النفس وشمسها) كما يسمى في علم النفس، ويراد به تجليات الشعور الذي تتبجس تضوعاته في رحاب ربعٍ به اقترنتْ حياتُه في بواكيرِها الأولى.

لذا شرع الشاعر يتساءل:

من متى وهي رابضةٌ،
هكذا
في وداعة طفلٍ بريءٍ
على كَتِفِ السفح
تَغْسِلُ أجفانَها في الصباح
بماءِ النهار
وأقدامُها تَسْتَحِمُّ بنهرٍ صغيرٍ
يثور إذا ما أتى الصيفُ
واحتدمت في الجبال السيولْ
لا تريمُ عن السفح
تستقبل الشمس في فرحٍ
وتداعب كل الفصولْ
وفي اللّيلِ تُوقدُ أحلامَها
حَطَباً للتذكُّرِ قبلَ الرُّقاد.

بوصفه الحسي هذا لقريته، جعل منها الشاعر، بل ألبسها روح الإنسان التي تأتيه بالأحلام الحسان. فجمع الشاعر بذلك بين روعة الخيال وجمال الصورة الإدراكية الجغرافية، ولكن بنسجٍ قشيب، يطيب للنفس أن تتملاه.

ها هو شاعرنا الأستاذ المقالح قد استسقى بقصيده هذا غمائمَ الشّعرِ، فأهدى نبضاتِه الوجدانية هديةً سنيةً إلى كل من قرأ أو سيقرأ **كتاب القرية**، من أبناء البشرية.

ففي قصائد **كتاب القرية** السبع والسبعين هذه أنتم تقرأون، يا شبابنا الأعزاء، مواقفَ حية لوّنتها تجارب الحياة: وهي تجاربُ حفرتْ أخاديدَ الرقشاء على صفحاتِ نفسِ شاعِرنا الغضّةِ البيضاء، لذا صوّرها مجسدةً بابتكار التوقيف على أسس راسيات من التركيب والتأليف، وذلك بنظمٍ بارعٍ للكلمات أرسلها شاعرُنا وأرسل معها عواطِفَه وأحاسيسَهُ متناسقةً لا مرسلةً سُدىً، ومتناظمةً لا متناثرةً بدداً. يَقِفُكَ الشاعر المقالح في لوحاته الرائعات هذه على ما انطبع في صفحات نفسه وفي أعماق ذاته على ما لقريته من فتنة وجمال وبهاء، وعلى معاناة أسرته فيها وما تعرضت له من أتعاب وأوصاب. إنّ الموهبة المطواع لشاعرنا قد مكّنته من وصفٍ رائعٍ أخّاذ لرونق قريته وحياة أهلها الرائقة، ثم ينقلك إلى وصفِ حدثٍ رازح ألمّ به وبأهله وأسرته. فكأنه بهذا التوصيفِ اللوني عالمُ نفس مستمكن، يهيئ نفس الإنسان لتطفح بالأنس تارة، إذا به يَعرِضُ عليها مشهداً كانظاً يسحبها إلى أدنى دركات الإحباط، تارة أخرى. فأنتم، يا شباب، باستطاعتكم، أن تقرأوا، مثلاً، في اللوحتين الخامسة والثلاثين، والأربعين وفيما بين هاتين اللوحتين، وصفاً ينبض بالصفاء والنقاء اللذين كانا

من أهم مقومات الأسرة اليمنية في حياتها القروية، وكيف كان أهل القرية يتفاعلون متحابين يحيون متعاونين بالفِطْرةِ في أنساقِ (التكافل الاجتماعي) كما يصفه علم النفس الاجتماعي وعلم الاجتماع الإنساني. ولنا أن نقرأ، مثلاً لا حصراً، اللوحة الحادية والخمسين، إذ تتجلى خلجات الشاعر فيقول:

واضحٌ وشفيف كما الماء،
مثلَ الشعاعِ النقيّ
هو الحُبُ في قريةٍ لا دهاليزَ
تُخفيهِ
ينمو كما القمحُ تحتَ شموسِ الظهيرةِ
يسمو على مهلهِ
تتلاقى العيونُ تداعبُ أهدابَها
بالأحاديث
تبتسمُ الكلماتُ
وتُورِقُ فوقَ الشِّفاه
ولا إثْمَ في الحُبِّ
حين يكون نقيّاً
عفيفاً،
وحين يكون رسول الزواجْ.

من هذا الوصف المجسّم نجد أن مبدع **كتاب القرية** الدكتور المقالح قد استلهم ما في القرآن الكريم، واستوحى ما في التراث العربي القديم، واستحضر مكنونات النفس الإنسانية، فسبك ذلك كله سَبْكاً مفعماً بإدهاش النفس وإنعاش البصيرة: فهو قد قرّبَ إلى ذهن القارئ الحبَ وسموه الخالص بالمُدْرَكاتِ الحسيةِ المألوفة لدى كلِّ إنسان أينما كان:

كان سيدَ قريتِنا
والملاكَ الرحيم
وأضخمَ من يتحرّكُ في صدرها.
كم ذهبنا إليهِ
نُداعبُه ونَشُدُّ على ذيلهِ
نتسَلّقُ في وَلَهٍ ظهرهُ الهرمي
فتغمُرُهُ غبطةٌ،
ويُطيلُ انحناءاتِهِ
كان رايتَهم
حامل العِبْءِ،
من صوفه تغزل الأمهاتُ طواقيَ
أطالهِنْ
وتأتي العروس إلى دارها فوق (هودجه)
كيف خانته قريتُنا
دفنتْ في المقابرِ تاريخَهُ
هل نقولُ: وداعاً له

أم نقول: وداعاً لنا؟!
فهذا الجمل إنّما ينوب عن تعدد نوعه في قرية الشاعر. وإنّه لرمزٌ للصبر لدى أهل تلك القرية وما جاورها من قرى، وإنه – كذلك – لمصدرٌ للمنافع عندهم: منافع نال شاعرُنا قسطاً منها لا ينساه، منافع أفرحته زماناً وأكأبته بعد حين. فلا عَجَبَ في ذلكم ولا غرابة. إذ الأشياء والأحجار، والأطيار، والحيوان وكل ما يخطر في بيئة الإنسان، إنما هي مظاهر للروح الحية، بتلك المظاهر تستأنس، وبتلك المظاهر تستشعر البقاء الذي هو نزعة إنسانية. إذ إنّ الأصل في الإبداع الشعري أن يسمو على الحياة الشخصية، وأنْ يتكلم من روح الشاعر وقلبه بما هو إنسان إلى روح البشرية وقلبها. ومن هنا نجد شاعرنا الأستاذ عبد العزيز المقالح قد أودع: **كتاب القرية**، موهبة رائدة تتحدث عن سيرة قرية احتضنت سيرتَه الذاتية وسيرةَ سواه. إذ هو لم يتحدث عن نفسه كما في كتابات السِّيَر، وإنما هو تحدث عن حياة غيرهِ في قريته من البشر. وهذا الضرب من الإيثار وإنكار الذات لا يتأتى إلا للإنسان ولا يتأتى إلاّ للشاعر الإنسان الذي يولد وفي إهابه (شاعر كبير) خصَّهُ الدكتورُ المقالحُ بقوله في مرفأ آخر. والشاعر الكبير هذا يكون:

(الشاعر الحقيقي.. وحقيقة الشاعر *

إلى الصديقين العزيزين أدونيس ومحمود درويش الفائزين بجائزة الإبداع.
لا أحد يصبح شاعراً إن لم يكن قد ولد كذلك. هذا ما تؤكده الدراسات النفسانية المتلاحقة للظاهرة الإبداعية قديماً وحديثاً. فالشعراء الذين ولدوا كذلك استطاعوا أن يملأوا الدنيا بأشعارهم، وأن يشغلوا الناس بأخبارهم، وعلى العكس من ذلك أولئك الذين حاولوا أن يوهموا أنفسهم بأنهم قادرون على كتابة الشعر فقد ذهبت جهودهم هباءً منثوراً، وما أكثرهم في الوطن العربي ومنذ أقدم مرحلة في التاريخ إلى يوم الناس هذا حيث لم تتوقف المحاولات الفاشلة، ولم يتوقف التطفل على موائد الشعر، ولم يستفد المتطفلون من تجارب من سبقهم من ضحايا الرغبة المسكونة بالخواء.
يولد الإنسان الشاعر وفي داخله شاعر كبير على استعداد منذ الطفولة ليكتب القصيدة التي تشبهه، والشعر بهذا المعيار ينبغي ألاَّ يكون حدثاً طارئاً يجيء من خارج الشاعر، وإنما هو نص متعدد الأبنية كامن في الأعماق ينتظر لحظة الخروج إلى الضوء، وهذا لا يعني بحال تغييب دور الوعي المعرفي وما تنطوي عليه ينابيع الثقافة الواسعة من إناء لهذا النص القابع في الوجدان، وإيقاظ الحساسية الغافية في أنسجة الروح، إلاَّ أن المعرفة – مهما استطالت واتسعت آفاقها – لم تصنع شاعراً واحداً ولا نصف شاعر..
جماليات الشعر معروفة يدركها المتلقي بوعيه لا بحدسه، والناقد يتابع عناصرها ومكوناتها بأدوات تحليلية لا يمتلك الشاعر بعضاً منها، لكن لا هذا ولا ذاك قادران على استخراج تلك المكنونات من مخابئها، والتحليق بها في فضاءات الواقع. وحده الشاعر الحقيقي فقط هو الذي يستطيع ذلك، وهو الوحيد الذي تأتي إليه هذه المخزونات تلقائياً دون أن يتعمد البحث عنها أو يلف حولها ويدور، وهي في حقيقة الأمر تأتي إليه من حيث لا يعلم. ومن هنا جاءت فكرة الإلهام وكأن الشاعر يتلقاها دون جهد أو عناء.
الشاعر العظيم – من وجهة نظري – هو ذلك الذي يلغي الحدود التي يحاول البعض إقامتها بين الأشكال الشعرية، إنه شاعر يهمه الشعر أكثر مما يهمه الشكل، ويهتم باللحظة التي تنبثق فيها القصيدة مستفيضة على الورق تأتيه من أعماق غائرة لا يدري لها مكاناً لغوياً، أو منطلقاً صوتياً. وكثيراً ما يفاجأ الشاعر بالقصيدة عندما يراها تتموج على الورق كالضوء، وربما صار حين يقترب

منها لأول مرة يشك في أنها ليست له، أو أنها كانت لغيره وقد احتفظ بها في مكان ما من الذاكرة البعيدة، وليس الشكل مهماً للشاعر إلا بقدر ما يكون وسيلة إلى الشعر ولا أقول وسيلة إلى المعنى، لأن الشعر شيء آخر غير المعنى، فهذا الأخير موجود في كل شيء. وكان الجاحظ صادقاً عندما قال "إن المعاني مطروحة في الطريق"، لكن الشعر هو الذي لا يوجد إلاّ في الأعماق الساخنة، أعماق الشاعر – الشاعر.

والشعر ليس في اللغة أيضاً، وإن كانت اللغة تساعد حين ينجح الشاعر في تغيير ترتيبها المعتاد في بناء الجملة، ومن خلال حرصه على تقديم وتأخير بعض أجزائها لتثبت له أولاً، وللمتلقي ثانياً، أنها جاءت في نسيج خاص بالشعر، وأنها من حيث الشكل قد تأتي في شكل النثر وعلى مثاله متحررة من البيتية والسطرية معاً.

إن الحديث عن الخبرة الفنية التي يكتسبها الشاعر بمرور الزمن واستمرار الكتابة الشعرية لا يعني سوى التأكيد على أن الشاعر يمتلك مزيداً من البراعة في التعبير عن المكنون الداخلي، وما تزخر به نفس الشاعر الموهوب من مخزونات قادرة على الاستجابة للاستدعاء والتعبير في صيغة فنية مكثفة عما يتأجج في النفس من مشاعر التوهج والقلق، ومن الإحساس بالفرح أو الضيق.. ومن هنا فإن الشاعر الكبير الشاعر الحقيقي يكون كذلك بمقدار ما اختزنت روحه الكبيرة من قدرات على التقاط كل ما من شأنه أن يجعل صاحبها شاعراً بمقاييس عصره أو بمقاييس كل العصور).

إنّ **كتاب القرية** هذا لينمُّ عن قريحة صميمية راقية، ويكشف عن سليقة سليمة صافية، وظّفها شاعرنا الدكتور عبد العزيز المقالح في رسم معالم المكان وتشخيص ملامح الزمان، فاستقى بذلك غمائم الإلهام واستدنى نسائم الأمل ليعبر عن روح ظمأى أثقلت طفولتُهُ وفتوّتَهُ فيها متاعبُ وأضنتها لواغب، فأحالتها روحُهُ الوثّابة، وحولتها شاعريتُه الوهّابة، إلى معالِم تفكّرٍ وآمال، وشواخصِ قصصٍ تحكي لهذه الأجيال، تماجيدَ الأيام.

فبادروا، يا شباب، إلى قراءة **كتاب القرية**، تجدوا فيه أنّ الشاعر الأستاذ الدكتور عبد العزيز المقالح قد انتهج نهجاً جديداً في عالم الفكر والإبداع: إذ هو يناجي الإنسان، ويناغي الطبيعة وهي ذات جرسٍ فتّان. فهو كتاب يحفل بأدق المعاني الإنسانية: النفسية منها والاجتماعية.

11 – ذكريات أدبية

للدكتور شاكر خصباك

حديثنا الآن عن كتاب بعنوان: **ذكريات أدبية**، تأليف الدكتور شاكر خصباك. صدر الكتاب عن مركز عبادي للدراسات والنشر، في صنعاء عام (1996م)، يضم الكتاب بين غلافيه أسماءَ لامعةً من أدباء بعض البلاد العربية. وحرفة الأدب لا شك كانت هي السفير – إذا صح التعبير – الذي آخى بين الأديب الكبير الدكتور شاكر خصباك وبين أولئك الأدباء العمالقة، ومنهم على سبيل المثال علي أحمد باكثير من اليمن، وعبد المجيد لطفي من العراق، وطه حسين وسلامة موسى، ونجيب محفوظ، ومحمود تيمور، وغيرهم، من مصر...

ولا مناص من التنويه في هذا السياق بأن الدكتور شاكر خصباك الذي يعمل حالياً في جامعة صنعاء هو جغرافي كبيرٌ واسعُ السمعة، رفيع الشهرة، على امتداد البلاد العربية، وكذلك فهو في الغرب معروف أيضاً. لكنه قد أدركته حرفة الأدب، كما يبدو منذ يفاعته، فتشبث بها، بل قل هي التي أخذت بخناقه حتى طوّقته من جميع أقطاره. لذا تمكّن أديبنا القصاص الدكتور خصباك من التوليف الموفق بين التخصص الجغرافي الدقيق، وبين الإبداع في الأدب القصصي الذي نشر منه حتى الآن حوالي ثلاثين قصةً ورواية ومسرحية.

درءاً للرتابة ومنعاً للملل، استهل الدكتور شاكر خصباك كتابه: **ذكريات أدبية**، بصيغة حوار بينه وبين باحث شاب، جاءه – كما يبدو – لإجراء مقابلة صوتية تتناول بواكير ذكرياته، وشيئاً من أبعاد حياته. وقد آثر الدكتور خصباك أن يسمي نفسه بـ (الشيخ الأديب)، وكلمة (الشيخ)، كما نعلم، تتحاماها النفس الإنسانية في أكثر الأحايين، ذلكم لأن الشيخوخة على جلال قدرها، ومنها كلمة (الشيخ) مشتقة، تأباها نفس الإنسان التي تأنف مما يصمها بالضعف، لذا تلجأ النفس هذه إلى ما يسمى في علم النفس بـ (المكنية الدفاعية) التي تتخذ منها دريئة تتمترس خلفها لتبقى في عين ذاتها قوية.

فالأديب الشيخ وهو الدكتور خصباك يستعيد ذكرياته ويستحضر سابقَ أيام حياتِه، فمنه نعرف وعلى واقع حقيقة نقف أنه كان يقرأ مجلة (سمير التلميذ) المصرية، يقرأوها، وهو بعدُ، تلميذٌ في المراحل الأولية من المراحل الابتدائية. وعلم النفس في أدبياته يؤكد أن الموهبة تجد ضالتها حسب هوايتها. فإنْ اتفق أن التقتها تفتحت تلك الموهبة كما تتفتح الوردة وهي تستقبل دفء الشمس في مستهل ربيع فوّاح.

فمن شغف التلميذ شاكر خصباك، بمجلة (سمير التلميذ) نستبين أنها كانت تستأثر بانتباهه وإليها تَشُدُّه حتى لتكادُ تصرفُه عن قراءة واجباته وكادت تبعده عن أداء مهماته المدرسية حينذاك. بيد أنه استطاع أن يُشبعَ بالقراءةِ الخارجيةِ رغباتِه، وأن يوائم بينها وبين استنجاز متطلبات حياته. وهذه من الخِلال النادرة لا تتحقق إلاّ للصفوة من الناس ممن يتمتعون بمواهبَ استثنائية.

فتلك المجلة، وأعني بها مجلة (سمير التلميذ) كانت (المعلم الأول) للدكتور شاكر خصباك، كما يؤكد ذلك هو نفسه. وقد أخذ الدكتور خصباك نفسه بشدة لا تلين وبإرادة أمام العوائق لا تستكين، حتى تحوّل من قارئ ممتاز إلى قارئ وكاتب ممتاز. وإنّ القارئ ليجد في أدب الدكتور خصباك نزوعاً إنسانياً يمثّل يقظةَ الحسّ، ونوازعَ القلبِ، وهَمْسَ الروح، ولا أدلّ على ذلك صدقاً من قوله: "أحب من الأدب أكثر ما أحب ذلك النوع الذي يتخذ كاتبُهُ الإنسانَ موضوعاً له على أنه أخوه.. أخوه كيفما كان – ذلك الإنسان – لا يترفع عنه – ولا يتعالى – لأن الأقدار أو الأسباب

الاجتماعية أرادت له الحرمان، والجهل، وسوء الحال، لا يتخذه ألهيةً يتلهى بها ويُطرف، بل يراه أخاً له يرثي لحاله، ويأسو لجراحه..." اهـ، ص 161 – 162.

إن قِصصَ الأديب الأريب الدكتور شاكر خصباك ورواياته تتضح بالنزعة الإنسانية من جهة، وتتسم بخصائص دقة رسم الشخصيات التي يتحدّث عنها بل قل بلسانها، مع تفاديه أسبابَ الفضولِ الذي لو أُقْحِمَ في أدبياته لأفسد جوهر إنسانيته التي أُفعمت بها جميع قِصصه وروايته ومسرحياته. وهذه لا شك براعة لا تتأتى بسهولة إلاّ للموهوبين من كُتّاب الأدب. وإنّ إبراز الجانب الاجتماعي لهو من بين الخصائص الأخرى الكثيرة في أدب القاص شاكر خصباك.

وقد تناول نُقّادٌ كثيرون قصص الدكتور خصباك ورواياتِه بالنقد والتمحيص لا يتسع المجالُ لذكرهم وذلك لكثرتهم، ولا ضير من أن نجتزئ هنا ما ذكره أحد النقاد المتمرسين – هو الأستاذ سليم عبد الجبار – وهو يصف الدينامية التي بها تمتاز شخصيات روايات شاكر خصباك وقصصه الكثيرة.

ومما جاء في ما نشره الناقدُ المذكور قولُهُ: ".. إنّ الأستاذ شاكر خصباك أشرف على الطريق القويم في كتابة القصة الفنية. فالشخصيات التي تترادف في هذا الكتاب وهي رواية – عهدٌ جديد – تتَّخذُ مادتها من الحياة الواقعية المألوفة، ومن الطبقة الوسطى على الأخص. ولكننا نلمس أثناء قراءتنا أن تلك الشخصيات ليست بالشخصيات التي تتراءى لكل عابر سبيل يرمقها بعينه فلا يتجاوز بنظراته هذه الأجسامَ الماديةَ المحدودةَ الصور، بل نراها أثناء حركاتها وسكناتها، وأثناء هدوئها واضطرابها تتجاوزُ هذه الحدودَ لتكشف لنا ما وراءها، وما وراء هذه الأجسام من نفوس... متمايزة متشابكة تتجه كلٌّ منها في سبيلها الذي أُريدَ لها، أو على الأصح نحو سبيل اختارته لها طبيعة نفسيتها وما ابتغته تلك الطبيعة من انبثاقات خاصة" اهـ، ص 165.

ويتابع الناقد المذكور قَوْلَهُ بشأنِ الشخصيات التي يرسمها الدكتور خصباك بريشة يراعه، حيث يذكر الناقد: ".. ونظرة موحدة إلى أسلوب الأستاذ شاكر تعطينا ما نريد. فقد سار بطريقِ عَرْضٍ موحد، إذ ألقى في كافة الأقاصيص مهمة – العَرْض – إلى أبطال الأقاصيص نفسها. وهذه الطريقة لها ميزتها الخاصة وموفقة في التحليل النفسي. إذ تُوْهِمُ القارئ أن – البطل – المتكلم قريباً منه وكأنه يُسِرُّ إليه مهمة خاصة" اهـ، ص 166، فأنت عندما تقرأ ذكريات الدكتور شاكر خصباك الأدبية وغيرها من إبداعاتِه الفكرية، تُحِسُّ إحساساً وجدانياً عميقاً بأن الإنسان لا يحيا بالعقل وحده، ولا يفهم مفارقات الحياة بالعقل وحده، ولكنه يحيا بالحياة كلها، بما فيها من خوالِج الحسّ المرهف، والعاطفةِ الرقّافة، والبداهةِ الشفّافة، والخيالِ الجوال والفكر السيّال. وهذه مَلَكاتٌ يتمتع بها القاصُّ شاكر خصباك؛ فهي تضاف إلى مواهبه وهي من الخصائص التي يستكمل الإنسانُ المُبْدِعُ بها سماتِه واستعداداتِه.

إذا أردت أن تفهم إنساناً مبدعاً فليست كلُّ وسائِلِك أن تسلِّط عليه كشّافَ التعليل والتحليل فحسب، بل أنت لتشترك في فهمه بكل كيانك، وبكامل وجدانك، فأنت تتفهمه بخيالك وبحسّك، ودوافعك، وبكل وجدانك، وهذا ينطبق على أعمال القاص الدكتور خصباك ومن بينها كتابه: **ذكريات أدبية** الذي نتحدث عنه الآن.

والحق إنه لمن بواعث الأدب وأي عمل أدبياً كان أم شعرياً، أو فنياً، أن يكون ترجمة لمحاسن الطبيعة، ومفاتن الحياة، ومُضْطَرَبِ السلوك الإنساني.

إن كتاب: **ذكريات أدبية**، للدكتور شاكر خصباك، لينبض بالحيويةِ والحياة. كيف: لا، وهو تجوّل بين أعلام مشهودٍ لهم بعلو الكعب، ورفعة المكانة في عالم الأدب والشعر والقصة والرواية

من أمثال الدكتور علي جواد الطاهر، الأديب الناقد المرموق، وكامل الكيلاني، المعروف بكتاباته الشائقة للأطفال، ويوسف السباعي، والدكتور زكي مبارك، وغيرِهم. فمن مناقشاته مع هؤلاء الأدباء، ومن مخزون قراءاته العريضة، يمتاح الدكتور شاكر خصباك؛ لذا تجد في كتاباته، وتلمس في ذكرياته، أنه إنما يستمد بيسر وسهولة ما يجعله يُبرز بتمكّنٍ ظاهرٍ معالِمَ الشخصياتِ التي يُجسدها لقرّائه، فيحيلها تَمُوجُ بالفاعلية والديناميكية. ولهذا فقد دانت لَه ملكةُ القصة وإبداعات الرواية.

إنّ مَنْ يقرأ في أدب الدكتور خصباك، يتوصل إلى الانسجام الذي يسود كلَّ رواية من رواياته، وكل قصة من قصصه. فتظهر شخصياتُ أعمالِه، وهي شخصيات تعكس إحساساً عميقاً بما خبرته تلك الشخصيات من بوارح الحياة. فيتأتى الوصف شاخصاً وصادقاً.

ففي كتابه **ذكريات أدبية**، يطل الدكتور شاكر علينا وعلى جميع قرّائه بتجاربَ وخبراتٍ، من خلال ما كوّنه مع غيرِه من اللامعين من الشخصيات من علاقات مثل المربي الكبير ساطع الحُصَري، والأديب اللامع أحمد حسن الزيات، صاحب مجلة (الرسالة) المعروفة يومذاك، وغيرِهما ممن ذكرنا قبلهما في حديثنا هذا. فهذا كله هيأ للدكتور شاكر مناخاً فكرياً وأدبياً يجد كلّ من الناقد الأدبي والمحلل النفسي، يجد في أعماله الروائية والقصصية ما يغزر ليكوّن مادة طريَّةً للنقد البنّاء والتحليل النفسي العميق. وذلكم مرده إلى أن العمل الإبداعي، والجانب الفني ككل إنما هما جزء من مُضْطَرَبِ الحياة. فالعمل الإبداعي إنما يعبّر عن موهبة الأديب، ويعبّر عن نفسه في عمل الأديب على أوضح ما يكون التعبير.

إن كلاً من التحليل النفسي والنقد الأدبي لما أنتجته قريحةُ الدكتور شاكر خصباك يمكّنان القارئ والباحث معاً من أن يتجه كلُّ واحد منهما نحو الآخر ليستمد منه العون على الفهم والإفادة. ومن الأساسيات الهامّة في أدبيات علم النفس أنّ الحوادث النفسية إنما هي حوادث ذات صفة اشتقاقية، وأن العمل الأدبي ليزخر بعواطف مبدعه وجيشان وجدانه، لذا يكون الناتج النفسي شيئاً في ذاته لكنه ناتج مرتبط بخوالج المبدع النفسية.

ولعل أنجح الروايات هي تلك التي تعود بأكثر النفع وأوفاه، هي تلك الروايات والقصص التي لا يقدِّمُ مؤلفها تفسيراً سيكولوجياً لها ولا لشخصياتها، بل يَدَعُ مجالاً للتحليل النفسي وللتعليل النقدي. وهذا ما يلمسه القارئ لأعمال الدكتور شاكر خصباك الكثيرة ومنها على سبيل المثال: رواية **الخاطئة**، ومسرحية **الرجل الذي فقد النطق**.

ففي كتابه **ذكريات أدبية**، وفي كتاباتٍ مبكّرة، وأعمالِهِ الأخرى، يقدّم الأستاذ الدكتور شاكر خصباك مادة ممتعة، تحكي شؤون الحب، والبيئة، والأسرة، والجريمة، والمجتمع، ومعاناة الهوى، وأزمات الواقع الإنساني. وكلٌّ من هذه العناصر يُسهم في تكوين حياة الإنسان الشعور به وإثراء واعيته البشرية الأخلاقية منها والاجتماعية على حدٍّ سواء.

فاقرأوا معي، أيها الشباب، للدكتور شاكر خصباك **ذكرياته الأدبية**، وما تحصلون عليه من قصصه ورواياته الإبداعية، ومعظمها مطبوع ومنشور هنا في صنعاء.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

12 – البردوني – المثقف المؤسسة – ساخراً

تأليف: قادري أحمد حيدر

منشورات: مركز عبادي، صنعاء 2003م

قرأت لكم، أيها الشباب، كتاباً بعنوان: **البردوني – المثقف المؤسسة – ساخراً**. الكتاب من منشورات مركز عبادي بصنعاء – اليمن لعام 2003 للميلاد، لمؤلفه قادري أحمد حيدر.

يكتشف القارئ مع أول قراءة لإبداعات الشاعر عبد الله البردوني، المتنوعة شعراً، وتاريخاً، ونقداً، سماتِ الفكرِ الثاقب الذي يَسِم أعمالَه كلها بسمة الفكر الجوّال والأثر الثقافي الفعّال، فضلاً عن صدق مع الذات ومع وطنه ومع أبناء جيله والأجيال التالية.

فالشاعر عبد الله البردوني كما قال عنه الأستاذ قادري أحمد حيدر:

"على وجه التحديد كونه يمثّل بالفعل قامة ثقافية متسامقة في سماء الثقافة والفكر الوطني الديمقراطي المعاصر، فهو أفقٌ لامتناهٍ وفضاءٌ إنساني مفتوح على كل الاتجاهات، سماءٌ لا تحدّها حدود، إنه رؤية مفتوحة على ذاتها ومتباعدة عنها في الآن ذاته، ومتصلة بالآخر كسيرورة إنسانية أبداً. لقد كان حقاً طبيعة أدبية تاريخية خاصة به مدرسة نفسه والحياة اتّسم بها طيلة ما يربو على أربعة عقود من الزمن كتابة وشعراً نجد ظلال بحثه دائرة تطال كافة مناشط الحياة الثقافية والأدبية".

الأستاذ البردوني المثقف الشاعر والشاعر المثقف تمكّن بقوة عقليته وواسع ثقافته من أن يكون بمنأى عن هوامش الثقافة المهلهلة والمعرفة السطحية المجزأة. فهو قد زاوج بين الثقافة والأدب. إذ كان يرى رؤية البصيرة أن الأدب بمفهوميه الخاص والعام إنما هو أرفعُ ضروبِ الثقافة، بل هو الذّروة للبنية الثقافية. فهو يقول: "يمكن أن نجرى على الترتيب الأكاديمي الذي يرى الشعراء أعلى ذرواتِ الثقافة، يلي الشعرَ الروايةُ، تلي الروايةَ – المسرحيةُ الشعريةُ ثم النّثريةُ ذاتُ المستوى الفني، يلي هذا النقدُ الأدبي، يلي النقدّ الفلسفةُ بجناحيها المادي والمثالي، يلي الفلسفةَ – علمُ التاريخ"، ص 11.

ففي مقابلة مطوّلة أجراها الأستاذ قادري مع الشاعر البردوني تناولت فنون العلم والأدب ومختلف شؤون الحياة، كشفت عمّا كان يتمتّع به البردوني من آفاق فِساح في عالم الثقافة والأدب، مما ينمّ عن أنه كان موسوعياً في الإحاطة بالأدب وفنونه، وبالعلم وفروعه، وبالعالم وشجونه.

فهو يرى (أن الواقع الثقافيَّ واحد) ومن ثم يتساءل بصيغة الاستفهام التقريري فيقول:

"أما كان بودلير معاصراً فرويد صاحبَ البحوث التحليلية على الكبوت العاطفية؟

كان ذلك العصر هو عصر داروين الذي أصدر كتباً عن النشوء والارتقاء وعن أصول الأنواع، كما كان عصر سبنسر بطل الفلسفة العلمية وكل فرع من هذه الفروع يقوّي الفرع الآخر، فلا يمكن أن يبلغ الشعرُ مستواه الراقي بلا ثقافةٍ فلسفية تكوِّنُ قاعدةَ الشعرِ والروايةِ والمسرحيةِ الراقيةِ تقنياً ودرامياً، وقد ضرب المثلَ اثنان شكسبير وبيكون، فكانت فلسفةُ بيكون منصّة شوامخ شكسبير، كما كان بيكون يسبح في الهناءة الذوقية بشعر شكسبير، ويمكن أن نحدّد الثقافة العليا بفروعها المعروفة فهي تتكوّن من: الشعر والفلسفة والتاريخ العام والتاريخ الخاص والسير الفردية أو الذاتية. هذه هي الثقافة العليا أكاديمياً، تليها ثقافة الاختبار التي سبقت الإشارة إليها.

فالواقع الثقافي واحد لأن الأدب من شعرٍ ورسائلَ وروايةٍ وقصةٍ ومسرحيةٍ وفلسفةٍ هي أعلى ضروبِ الثقافةِ وذلك بفضل جَمْعِها بين المتعة والإفادة وبين الخبرة والفن، فنحن نستفيد من خبرة الشاعر القديم بعصره وبخبرة الروائي بمجتمعه الذي ينتزع منه أبطال الرواية ولا أدري كيف يفرّق

البعض في بلادنا بين الأدب والثقافة، وبين الإعلام والثقافة. وقد شاركت في مثاقفات كثيرة حول هذا الاختلاف الوهمي، فالإعلام يُنتج ثقافة مسموعةً ومشهودةً ومقروءة، ثم أن القصيدة والرواية تتّخذ من الإعلام منبراً أو معرضاً وذلك عن طريق الاستجواب الصحفي مع الروائي أو الشاعر أو الحوار الإذاعي بين المذيع وبين الشاعر أو الفيلسوف إلى جانب أن الشاعر ينشر إنتاجه في المجلات والصحف وبالأخص: القصة فإنها نشأت مع الصحافة من منبتٍ واحد، فالإعلام يُنتج ثقافةً قد تكونُ بعضُ جوانبِها هابطة، كالأغنيات المايعة – كالتمثيليات التي لا ينطبق عليها الاسم إلا من ناحية الحوار وهو أقل مكونات التمثيلية وكملء الوقت بالإعلانات التجارية ومواعيد البرامج، كذلك المقالة الصحفية فإنها من فنون الثقافة وإن كانت دون البحث النقدي أو الفلسفي فنياً، إلاّ أن المقال الصحفي ثقافة، كما أن التغطية الخبرية ثقافة، والكاريكاتير ثقافة أيضاً، وربما كانت ثقافته ألمح فيؤدي إلى أرقى مما تؤدي المقالة"، اهـ، ص 11 – 14.

ومن ثقافته الواسعة والمعمّقة يجد البردوني الشاعر المجلّي في ميدانه، يجد ما يمكنه من الحكم الموضوعي على الشعر الجيد وعلى الإجادة. إذ هو يَعُدُّ (الإجادة من انهمار الشعر لا من مذاهب المدرسة)، ص 29. كما أنه يميّز بكفاية (كفاءة) عالية بين الموازنة والمقارنة. وإنه لمحقٌّ في ما ذهب إليه من أن الموازنة إنما تعني مما تعنيه هي المفاضلة بين شعرينِ من لغةٍ واحدة.

أما المقارنة فلا تنطبق علمياً إلاّ على أدب لغتين: كأدب اللغة الإنكليزية وأدب اللغة العربية. فهذه في رأي الشاعر البردوني أساليب (على الطريق) كما رآها. لكن معاييرَه في الأحكام التي يركُن إليها، فإنّه ينتزعها "من معالم النصوص ومن استشفاف معالم التجربة إما من خلال العبارة أو في ضوء الإشارة"، ص 30، وإن المدارس الأدبية في رأي الأستاذ البردوني إنما هي مجرد وجهات نظر ولا تعدو كونها كذلك، ذلكم لأن المدارس إنما تتلاقى في الرواية الواحدة، وفي الركائز النقدية:

"فقد تألفت شوامخ الروايات والقصائد قبل عصر التصنيف المدرسي والعناوين المذهبية، فإلى أين ينتمي شكسبير وبوشكين وسرنتيس ودانتي والمتنبي وهوميروس؟ إنهم على تباين أزمنتهم أبناء زمن ثقافي واحد وكلهم ينتمون إلى عوالم الفن القولي بلا مدارس وبلا مذاهب، ولكني في ذلك التصنيف حاولت أن أعرّف القارئ فهم النص من خلال تركيبه ومن اشتمام قاعدته الفلسفية لأن أكثر نواقص كتاباتنا هو عدم فهم النص كياناً وروحاً وظرفاً مكانياً وظرفاً زمانياً"، اهـ، ص 30.

يُعَدُّ البردوني أحد روّاد اللغة والأدب في اليمن. وهو مدرسة فكرية، ذلك أنه وكما يقول عنه قادري أحمد:

"إن الفكرة في الشعر، والفكرة في الفكر عنده متوحدة، ومندمجة بروح الرؤية الناقدة، والنقد الموجّه صوب تصحيح موجاتِ وانحرافاتِ الواقع ومن هنا تتضح صعوبة الفصل عنده بين الرؤية والفكرة، والواقع، وبين الطابع النقدي الذي يتخللها جميعاً، النقد في صورته الساخرة، المستمرة والرافضة للسائد. وهي في الحقيقة أحد وجوه مأساته الخاصة والعامة. فقد عَرَفَ حسب قول الفيلسوف هيغل "كيف يقترب من وجهة نظر الفكرة، واندفع بجسارة كبيرة، وإن بمتاع فلسفي زهيد بالأخرى، في محاجَّةٍ باهرة ضد الآراء والنظريات، والنظرات الدارجة، وأدخل على فروع عدة في الفن معياراً جديداً للحكم، ووجهاتِ نظر الرقي من تلك التي كان يكافحها. والإشارة حول المتاع الفلسفي الزهيد، إنما جاءت هنا من باب التأكيد على فلسفته الخاصة التي تكوّنت في ذخيرة مخزونه الثقافي والسيكلوجي، ومن متاع امتلاكه لرؤى تيارات فلسفية وأدبية، وإبداعية مختلفة، استطاع عبرها، ومن خلالها تكوين منهجه ورؤيته الذاتية الخاصة به، والتي لا تنفصل قطعاً عن حركة الفكر الفلسفي والإبداعي الإنساني، ولكن في خصوصية تجلياته البردونية، ذلك لأن البردوني

الشاعر والمفكر، والناقد الساخر لم يلتزم بالمعنى الحرفي أو المباشر بأي رؤية أيديولوجية، أو نظرية أو أية فلسفة محدّدة، وإن كان قريباً من منهاج التفكير العالمي الجدلي النقدي، في صورته الحية والخلاّقة".

ذلكم هو رأي الأستاذ قادري أحمد حيدر في توجهات الشاعر البردوني ورؤيته للواقع والحياة. وقد بيّن الأستاذ قادري حيدر ما للبردوني من ثوابت فكرية وإبداعية فيما اختطه لنفسه من منهج حياة. فيصف البردوني وسيرة حياته بما يستحق من موضوعية وإنصاف، إذ يقول الأستاذ قادري: "ذلك هو البردوني، وليدُ أزمنةٍ غابرةِ حمل معه منها رائحةَ العطر والورد الجميل، وريثٌ لأجمل ما في تلك الأزمنة كما أنه في الوقت نفسه ابن عصره في أبهى وأزهى صوره الجمالية والإبداعية..." اهـ، ص 114.

وبعد، أما ترون، يا شباب أن الشاعر الكبير عبد الله البردوني خليق بأن يتمّ ترسّم آثاره وتقصّي أخباره الشاخصات التي خلفها بتواضع أفكاره النيرات وكما وصفها لنا بجدارة الأستاذ قادري أحمد حيدر في كتابه الجميل هذا عن البردوني الشاعر المثقف المؤسسة.

13 – ديوان عدن

للشاعر الأستاذ سليمان العيسى

قرأت لكم، يا شباب، **ديوان عدن**، للشاعر سليمان العيسى، وقد نشرت الديوان هذا جامعة عدن عام 2004م. يضم الديوان المؤلف من مئة وسبع صفحات، أربعاً وعشرين قصيدة ما بين طويلة وقصيرة، فضلاً عن حياة الشاعر في سطور ومشاهد ملوّنة من حفل التكريم الذي أقامه رئيس جامعة عدن الأستاذ الدكتور عبد الكريم راصع تكريماً للأستاذ سليمان.

ويبدو أن يوماً لا يمر بالشاعر سليمان العيسى فيه من ربوع اليمن طيب يتهاوى الشعر عنده في غوى المغيب. الشعر عند سليمان حياة وبقاء، غاية وعزم.

الشاعر سليمان العيسى فارس قلم أجاد ويجيد النثر والخطابة كما أجاد ويجيد في الشعر الذي تمكّن من امتلاك ناصيته وترويض قافيته.

يفتتح الشاعر سليمان ديوانه بكلمة عابرة بعنوان (مع زرقة البحر وزرقة السماء) يشكر فيها الذين استقبلوه بالحفاوة والترحاب، وعلى رأسهم رئيس جامعة عدن الدكتور عبد الكريم يحيى راصع. فيقول في كلمته التقديرية:

".. أنا الآن هارب من مآسي العالم،
من همومي.. وهموم أمتي
إلى زرقة البحر.. وزرقة السماء
إلى الشباب الذي يجدّد هذه الدنيا
كلما هرمت..
إلى الحب..
إلى الأصدقاء..".

وفي قصيدته بعنوان (أغنية لعدن) اختار الشاعر سليمان العيسى موسيقى الألفاظ، وطرائق تنزيلها في المسبك الشعري، فلنقرأ القصيدة إياها:

منذُ أيامٍ.. تلَقّتني على
شاطئ التبرِ.. وضمتني يداها
ذاتَ يومٍ.. سرَقَ الخُلد اسْمَها
خمرةَ الفردوسِ كانت شفتاها
كنتُ وحدي معها.. كان الدجى
ونسيمُ البحرِ.. كانت لي رُؤاها
كنتُ أمشي ضائعاً.. هذي الدُّنَى
لم تزل مجهولة السر.. دُنَاها
أأقولُ الشعرَ؟ لا، لا، إنها
وحدها الشعرُ الذي يعصي الشفاها
يُتْعِبُ القيثارَ.. لم يُتْعِبْ يدي
في الجنون المُشْتَهى لحنٌ سواها
سندريلاًّ البحرِ.. كم جِنِّيةٍ
في حنايا شطّها ألقت عصاها

يتبارى الصخرُ والماءُ بها
لعبةُ السحرِ.. ولا يُدْرَى مداها
هي أحلى.. حين يَهْوِي قمَرٌ
فوقها.. تمشي على البحر سماها
يفرِشُ الضوءُ "التَّواهي"[2] ذهباً
نغماً.. شعراً.. وتمتدُّ حُلاها
هي أحلى.. وانـزوت قافيةٌ
وروانـي سحرُها.. آهاً فآها

* *

هذه الحلوةُ.. ما أرْوعَها
حين تحكي قصةَ المجد خُطاها!
ذات يومٍ.. مَسَحت عن خدها
غيمةَ الحزن.. تحدَّتْه.. دُجاهَا
ذاتَ يومٍ.. حَطّمتْ أغلالَها
رفَعتْ أعلى من الشمس الجباها
قال صيَّادٌ لمن مَرُّوا بها:
إنـزلُوا الشاطئ.. طَهَّرتُ المياها
هي للحبِّ، وللدفءِ معاً
إنـزلوها.. يحتضِنْكُم ساعداها
الغزاةُ اقْتُلِعوا.. أجليتُهم
شطُّنا طاوَلَ بالنصرِ وتاها
إنـزلوا الشاطئَ هذي رملتي
مثلما كانت. نقائي ونَقَاها
ذاتَ يومٍ.. ونُعيد الملتقى
عرُساً حلواً.. وللذكرى صِبَاها
ولها.. للوردةِ البِكْرِ اسْمُها،
لونُهَا، تاريخُها، نهرُ شذاها
يا كتابَ المجدِ.. هل سطَّرْتَ في
كلِّ ما سُطِّرَ أغلى من دماها؟
رُبَّما أرهقَها طولُ السُّرَى
فاستظلَّتْ في إباءٍ كِبْرياها
أفتدرون اسْمَها.. فاتنتي؟
والتي يكتُبني شعراً هواها
سندريلاَّ البحرِ.. يا أحلى مدىً
للقوافي.. منذُ أنْ رنَّ صداها

* *

منذ أيامٍ.. سقَتْني يَدُها
خمرةَ الوحدةِ.. فَلْتَسلم يداها!

ففي قصيدته هذه (أغنية لعدن)، يناجي الشاعر سليمان العيسى، بل قل ينادي كل وجدان يهزّه سحر البيان. فبهذا الوصف الأخّاذ يقرّب شاعرنا ثغر اليمن – أعني عدن – من كل قارئ، بل هو بهذا الكَلِمِ الآسر يكاد ينقل جمال عدن الفتّان إلى رؤى القارئ أينما كان في آفاق الزمان والمكان. وإن ملكةً كهذه التي أخذ الشاعر الأستاذ العيسى بخطامها وتمكّن من عنانها جعلت منه شاعراً مشهوداً له بارتجال الشعر ارتجالاً فتواتيه جياده انثيالاً.

وإني لأدعو شبابنا خاصة، وكل قارئ عامة، إلى مائدة هذا الديوان، يتغنى الشاعر بقصيدة كتبها تحيةً لوحدة اليمن، بعنوان (يمشي الطريق معي)، وفيها يقول:

يمشي الطريقُ معي.. وأَمشي..
وانكسارُ جميع أحلامي وذاكرتي معي
وتَلُفُّني القِممُ الغريبةُ..
أيُّ شعرٍ خالدٍ.. هذا الوطنْ!
يا روعةً تنسابُ في حَدَقي تَخُضُّ لأَرْوعِ
قِمَمٌ تَتَالى..
تارةً مِنْ سُنْدُسٍ
يَذْرو الجمالَ..
وتارةً.. مِن بَلْقَعِ
يَمْشي الطريقُ معي.. وأَمْشي..
عاشقانِ.. تَحُثُّ رَكْبَهُما عَدَنْ
ونفَضْتُ عن عَيْني الجدارَ..
فلا جدارَ.. ولا حدودَ.. ولا زَمَنْ
ضاعَ الزَّمَنْ..
وانْهَدَّتِ الأَسْوارُ.. غارَتْ..
والطريقُ إلى عَدَنْ
نَشْوانُ، أَخْضَرُ..
لفَّني بذِراعِهِ..
– أَهْلاً بشاعِرِنا.. بأُغْنيتي القديمة..
الذُّرى والشاطئُ الذهبيُّ عادا وَحْدةً خَضْراءَ،
إِنهما وَطنْ..
واصِلْ طريقَكَ!
بانتظارِكَ رَمْلُكَ الذهبيُّ..
إنَّهما يَمَنْ..
هي عودةُ الجَسَدِ الحبيبِ إلى الحياةِ..
إلى الربيعِ..
إلى الحقيقَةِ..
بعد أجيالِ العَذَابِ..
وبَعْدَ تاريخِ المِحَنْ.
ونفَضْتُ عن عيني الجدارَ..

وسِرْتُ.. أبكي صامتاً..
أَغْلَى الدموعِ الصامتُ..
المسفوحُ بُشْرَى.. يا عَدَنْ!
يا غُربةَ الوطنِ الذبيحِ
من المحيطِ.. إلى الوَرَقْ
أنا فيكِ.. قافلةٌ وعُمْرٌ
في قصائدكِ احترَقْ
ماذا جنَيْتُ سِوَى الحُرَقْ؟
ماذا حصَدْتُ سوى الغَرَقْ؟
تتلقَّفُ الريحُ الصَّدَى
وأجوعُ في صحراءِ أحْلامي
وأُهْزَمُ كلَّ يومٍ..
ثم أحملُ في جبيني ذَرَّةً
ممَّا أسمِّيه: الفَلَقْ
أيكونُ وَهْماً.. ما أُطاردُهُ بآهاتي
وحَشْرَجتي.. أُسمِّيه الفَلَقْ؟
أيكونُ وَهْماً.. كُلُّ مَنْ غنَّوْا،
ومَنْ صُلِبوا، ومن ماتوا،
وغابوا.. تحتَ ساريةِ الشَّفَقْ؟
أيكونُ وَهْماً؟
إنه العَطَشُ القديمُ إلى السَّرَابِ،
رضيتُ.. يَقْتُلُني السرابُ،
ولن أبيعَ بكلِّ مَجْدِ الزَّيْفِ
بارقةَ الشَّفَقْ..
يا غُربةَ الوطنِ الذبيحِ..
أنا وأنتِ الساهرانِ علَى الرُّؤَى
وتموتُ في الحَدَقِ الرُّؤَى
وتعيشُ في الحَدَقِ الرُّؤَى
ويَظَلُّ حتى الآنَ مَلْجَأَنا
القصيدةُ والأَرَقْ
إنِّي لأُمْسِكُ ها هُنَا
بالخيطِ، خيطِ الفجرِ، أَخْضبُ بالمُنَى
أَمَلاً تَفَتَّح ها هُنَا
في هذه الأرضِ التي
وُئِدَتْ بكلِّ خناجرِ الدُّنيا
ذُبِحَتْ بكلِّ خناجرِ الدنيا
وعادَتْ تَنْفُضُ الكَفَنا

وتُحِيلُه ذِكْرَى، بقارعةِ الطريقِ،
رأيتُه مُلْقىً بقارعةِ الطريقِ،
رأيتُه مُلْقى..
وكانَ معي الطريقُ إلى عَدَنْ
نَشْوانَ أَخْضَرَ،
لَفَّني بذِراعهِ..
وشرِبْتُ من أَوْجاعِهِ..
ومضيتُ أكتبُ للصباحِ قصيدةً
هِي والمُنَى
فَرَحٌ أحِسُّ به يناديني على رَهَقي،
يقولُ:
إمْلأْ بها عينَيْكَ..
عانِقْ فَجْرَها.. وَطَنا
عُرْساً.. يضِجُّ بنا.. يطيرُ بِنا
إملأْ بها شفتَيْكَ.. صادِحةً
إملأْ بها الأَتراحَ والشَّجَنَا
إملأْ بها التاريخَ.. نَبْدَؤُه
يَمَناً.. لِتُصْبِحَ أُمَّةٌ يَمَنَا

فبهذا القصيد الجزل يستحضرُ الشاعر شتاتَ التاريخ الغابر، ويذكِّرُ بمجد هذا البلد الحاضر. وقد تمرّس شاعرنا بموهبته الفطرية هذه في كيفية استنهاض أحاسيس النفس واستحضار نفحات الروح صادحة ليملأ (بها الأتراح والشجنا) ليملأ (بها التاريخ) من تصاريف الحياة وطيب الأماني التاليات.

وفي قصيدة إخوانية للشاعر العيسى أرسلها إلى شاعر اليمن الكبير الدكتور عبد العزيز المقالح وإخوة له في منتدى (المقيل) الأدبي المعتاد، وهي بعنوان (سلِّم على)، يقول الشاعر فيها:

سَلِّمْ على الوادي
على الذُّرى،
على الأَحْناءْ..
يا شاهقاتِ المَهْدِ.. يا هديَّةَ الأرضِ
إلى السماءْ

* *

سَلِّم على مَوَاجِعِ الشَّمالِ والجَنُوبْ
قريبةً بعيدةً فَلْتَكُن الدُّروبْ
أنا الذي أَوْجَزَها يوماً بِنَبضَتَينْ
وَحَّدَها في قلبِهِ
وضَمَّها في هُدْبِهِ
وأبصَرَ الشُّروقَ في الغُروبْ
وقالَ.. حتى هَدَّه اللُّغُوبْ:

لَنا لَنا.. الشمالُ والجَنُوبْ
لَنا لَنا.. الشمالُ والجَنُوبْ
سَلِّم على..
ويَتْعَبُ العازِفُ والوَتَرْ
لقد كَبِرْنا.. يا أخا الأشعارِ والأحلامِ
والسَّهَرْ
لقد "زهِقْنا".. قُلْتَها لي مرةً وغامْ
في وجهِكَ الحُلْمُ الذي تَسْحَقُهُ الأيامْ
ولَمْ أُجِبْ.. لأنَّني لا أَمْلِكُ الجوابْ
هل يَمْلِكُ الشاعرُ غَيْرَ الحُلْمِ والعَذَابْ؟
سَلِّمْ على..
في القاعِ.. في قَرارةِ الرَّمادْ
أَحْلُمُ بالنَارِ التي تَهْمسُ في قرارةِ الرَّمادْ
أحلُمُ بالجوابْ
يَصْنَعُهُ العَذابْ
ولستُ مَنْ يَهْرُبُ منكَ.. أَيُّها القَدَرْ!

استمعنا إلى هذا النّغم الشجي، وإلى هذا اللفظ الفريد وهنا يمكننا القول: "ربَّ قارئ بدرك من القصيدة أكثر من ناظمها؛ وما أحوجَ الشاعر إلى القارئ المنشود"❋.

بيد أننا نجد في القصيدة المذكورة، الإدراك حاضراً في وجدان الشاعر وفي خاطر متلقي القصيدة: فكلاهما، أعني المقالح وسليمان، شاعر يعود بالرائعة متى أراد.

وللصوت الخفيت في ضمير الشاعر ما ينهمر شعراً يحتضن (براعم) عدن، وأراد الشاعر بالبراعم الأطفال الذين حَيَّوه بالأزهار، فهم، إذن أزهار تحمل أزهاراً، فكان الشاعر يراهم أنّى سار فيقول فيهم:

حيثما سرتُ.. أراهُمْ في طريقي
إنهم لونُ غروبي وشروقي
أينما كنت..
محياهم رفيقي
هم صغاري
وفراشاتُ نهاري
منذُ دَهْرٍ.. أكتبُ الشعرَ لَهمْ
ويُغَنُّونَ الذي أكتُبهُ
وأغنّي مَعهم..
أَعْذَبُ اللحنِ الذي
يَشْدوه أطفالَي،
أَجَلْ.. أعذَبُهُ
فاجَأُوني أَمسِ في القاعةِ..

في لُؤْلُؤةِ البحرِ عَدَنْ
أَقْبَلُوا.. نَهْرَ بَراعِمْ
أَقْبَلُوا.. كي يَسْمَعوا شاعِرَهُمْ
يُنْشِدُ شِعرَهْ..
يا صغاري..
كنتُمُ أنتم أغانيهِ وشِعْرَهْ
منذُ أَنْ شَقَّ على بَسْمتِكُمْ
في الحَلَكِ الراعبِ فَجْرَهْ
وفتحتُمْ فَجأَةً..
كلَّ شبابيكِ الأَمَلْ
ذاتَ يومٍ خانقٍ..
كُلَّ شبابيكِ الأَمَلْ
في حَياتي..
كنتُمُ أَحلى أَغاريدِ حياتي

* *

فتعالَوْا.. نَمْلأ القاعةَ شعْراً عربياً
أخْبَرونا..
أنَّنا لن نَتَفَيَّا
أَيَّ غُصْنٍ أخْضَرٍ في هذه الدنيا
يُسَمَّى: عربياً
كلُّ شيءٍ ماتَ.. قالوا
لم أُصَدِّقْ ما ادَّعَى "جيلُ التوابيتِ"
وقالوا..
وإليكُمْ.. يا فَرَاشتي هَربتُ
للملايينِ من الأَجْنِحةِ الحُلْوةِ
منْ كُلِّ التَّوابيتِ هَرَبتُ
مَرْحباً بالصُّبحِ في القاعةِ
يَنْهَلُّ بَرَاعِمْ..
وعصافيرَ، وأَزهاراً فَوَاغِمْ
سوفَ أَلقاكُمْ..
أُغَنِّي معكم..
في شاطئِ السحْرِ.. عَدَنْ
في اليَمَنْ..
في ظلالِ النَّخْلِ في البَصْرَةِ،
في بغدادَ..
في هذا الوَطَنْ
يَنْفُضُ "التابوتَ" عنه – رَغْمَ أَنْفِ الدهرِ –

من ماءٍ.. لماءِ
هو قادِمُ..
يتخطَّى كُلَّ أصنافِ الهزائمْ
والجرائمُ
هو قادِمْ..
بالملايينِ من الأَجْنِحَةِ الحُلْوةِ..
أهلاً بالبَرَاعِمْ!
بعصافيري..
بأطفالي..
بأزهاري البَواسِمْ

وأنتم تتجوّلون في صفحات الديوان، أيها الشباب، تحسون بنبض الوجدان كأنكم تتنزهون وسط أزاهير خميلة مفوفة، وبين مغارس جنينة شماء. وتشعرون أن كل قصيدة فيه، في مضمر القول الصراح، وأنها جرعة من الماء القراح. فأدعوكم إلى قراءة ديوان الشاعر سليمان العيسى من أجل إرواء العواطف من نبع الشعر الزلال.

14 – انفجار الصمت: الكتابة النسوية في اليمن

تأليف: الدكتور حاتم الصكر

قرأت لكم، يا شبابنا الأعزاء، كتاباً بعنوان: **انفجار الصمت**، تأليف الدكتور حاتم الصكر، أستاذ النقد الأدبي بجامعة صنعاء. الكتاب من مطبوعات مركز عبادي للدراسات والنشر لعام 2003. يضمّ الكتاب في صفحاته الثلاثمئة والثلاثين موضوعات شتّى تتناول كلها الكتابات النسوية في اليمن.

يقول الدكتور حاتم الصكر في تقديم الكتاب المذكور: ".. رغم أنني لا أدعو إليها – أي الكتابة النسوية – كامتياز أو تفوّق على كتابة الرجل بل كاختلاف متميّز عنه، استناداً... إلى مشغلات النص النسوي ومحركاته...".

وعن الكتابة النسوية من حيث مفاهيمُها ومقترباتُها النظرية يذكر مؤلف الكتاب موضوع حديثنا هذا ما نصّهُ: "ينظر الدارسون اليوم إلى النظريات النسوية في النقد والكتابة، على أنها جزءِ من الموجة المعروفة تحت مصطلح – ما بعد الحداثة – المتأثِّر إلى حدّ كبير بأفكار فلسفة التفكيك وتعميق مفهوم الخطاب وخصوصيته كنشاط إنساني).

ويتساءل الدكتور الصكر: ولكن ماذا نعني بالأدب النسوي؟

حدّد المؤلف ثلاثة مفاهيم أساسية، كلها تحوم حول هذا المصطلح، المفاهيم الأساسية هذه هي:

1. تعريف الأدب النسوي بأنه (يتضمن تلك الأعمال التي تتحدث عن المرأة وتلك التي تُكتب من قِبل مؤَلِفات).
2. يعني الأدب النسوي (جميع الأعمال الأدبية التي تكتبها النساء سواء أكانت مواضيعها عن المرأة أم لا).
3. الأدب النسوي هو (الأدب الذي يكتب عن المرأة سواء أكان المؤلف رجلاً أم امرأة).

فالمفاهيم الأساسية الثلاثة الآنفة اعتمدها المؤلف معايير يمكن بها أن يستهدي القارئ الذي يهمه أن يعرف شيئاً عن أدب المرأة. بيد أن الدكتور حاتم أمْيَل إلى ترجيح الرأي الأول من بين المفاهيمِ الثلاثةِ السالفِ ذكرها. إذ إن الرأي الأول ذلك إنما يجمع مقياس المؤلفة، والموضوع ولا يُهمل مَنتجة النص ألا وهي المرأة.

الدكتور حاتم الصكر، مؤلف كتاب: **انفجار الصمت** هذا، وهو ناقد معروف، لا يكتفي بعرض الأفكار مجردة، ولا ينساق وراء سرد الآراء فيدعها مبدّدة. بل هو يحاكم النظريات ويستنتج الدواعي والمبررات. ويحاول استدراج القارئ للمشاركة في فهم بواعث المرأة للكتابة شعراً أو قصة أو رواية.

فلافتة (الكتابة النسوية) عند الدكتور الصكر هي "الكتابة التي يكون همها وشغلها تميّز المرأة، والاحتجاجُ على الغبن الواقع عليها". وهو يرى، بعدُ، أن هذا الهدف يصلح للعمل الاجتماعي لا الأدبي أو الفني حسب. ومن هنا يلاحظ المرءِ، كما يرى الدكتور حاتم الصكر، أنّ تيار الكتابة النسوية، يختلط فيه المنظور الاجتماعي بالفني وانسحابُ هذا الوصف الجنسوي على بعض الكتابات الاجتماعية الصرف.

لقد أثرى مؤلف كتاب: **انفجار الصمت**، كتابَهُ هذا بأمثلة حيّة، ونماذجَ ناطقة، من إبداعات نساءٍ يمانيات. إذ اختار لغرضه هذا ثلاث مقاربات تطبيقية، من ذلك مثلاً:

- في الرواية ذكر صوتين ورؤتين هما رواية بعنوان (أحلام نبيلة) لعزيزة عبد الله، ورواية أخرى بعنوان (إنه جسدي) لنبيلة الزبير.
- وفي القصة: أورد مجموعة قصصية بعنوان (دحرجات) للكاتبة نادية كوكباني.
- وفي مجال الشعر يورد الدكتور الصكر ما كتبته نبيلة الزبير بعنوان: تنوين الغائب: تأنيث الآخر.

يرى المؤلف أن ثمة شُحَّةً في الأدب النسوي في اليمن، وفي الرواية خاصة، ويستدلّ على ذلك بمقولة للأستاذ الدكتور عبد العزيز المقالح الذي وصف في يوم ما الرواية في اليمن بأنها (النوع الأدبي المفقود)❋.

وتحت عنوان رئيسي يذكر مؤلف كتاب: **انفجار الصمت**، (قراءة أولى في إبداع المرأة اليمنية)، يتطرّق الدكتور الصكر إلى دواعي تأخر المرأة اليمنية بعض الوقت عن التبكير في الإسهامات الإبداعيةِ الممثلةِ في الكتابات النسوية. منها معوقات تاريخية، وأخرى اجتماعية، وثالثة تقليدية، ورابعة اقتصادية، وغيرُها ثقافية، إلى آخر ما هنالك من عوامل كانت في زمن مضى عائقاً حال دون ظهور إبداعات المرأة في اليمن. لكنها الآن حاولت وتحاول أن تعوّض ما فات بدل كثرة الكاتبات المبدعات في اليمن الحديث.

فأسباب معاناة المبدعات اليمنيات فيما مرّ من الأزمنة الغابرة وما فات يرتبها الدكتور الصكر حسبما أوردها على لسان القاصّة أروى عبده عثمان، وهذه الأسباب هي:

1 – العبء الأسري.
2 – غياب النَّفَس الطويل لدى المبدعات
3 – قلة القراءة والتثقيف الذاتي
4 – عدم الثقة بالنفس
5 – غياب المؤسسات الثقافية
6 – غياب الحركة النقدية الجادّة.

وبعد إيفاء ما تتطلبه الكتابة الناقدة لموقف تستدعيه دواعي عنوان الكتاب هذا، وأعني به: **انفجار الصمت**، يلتفت مؤلفه الدكتور الصكر التفاتة نابهة فيورد مختارات في كل من مجالات:

1 – الشعر
2 – القصة القصيرة
3 – الرواية

كلها لمبدعات من اليمن تجلّت فيها مواهب عندما تنطلق مع عفويتها الذاتية التي تعكس هويتها الإبداعية. فممن ذكرهن الدكتور الصكر من الشاعرات وبعض النماذج من شعرهن:

– نبيلة الزبير
– ابتسام المتوكل
– هدى أبلان
– فاطمة العشبي
– آمنة يوسف
– نادية مرعي
– أروى علي
– سلوى القدسي
– رابعة العصيمي
– نوره عبد الله زيلع.

وفي ميدان القصة ذكر الدكتور الصكر كلاً من:

– ف. أحمد [والفاء هنا هو الحرف الأول من اسم الكاتبة كما يبدو]

- رمزية الإرياني
- هدى العطاس
- أروى عبد عثمان
- نادية الكوكباني
- زهرة رحمة الله
- شفاء منصّر
- رضية إحسان
- نهلة عبد الله
- بشرى المقطري
- أفراح الصدّيق
- نبيلة الكبسي
- محاسن الحواتي
- مها ناجي صلاح
- عفاف البشيري
- انتصار الحارث
- أزهار فايع
- نجلاء العمري
- نادية الريمي
- ريّا أحمد

وفي مجال الرواية تمثّل الدكتور الصكر بكتابات مبدعات منهن مثلاً:

- عزيزة عبد الله
- نبيلة الزبير

وقد اجتهد المؤلف الدكتور حاتم الصكر في إغناء كتاب: **انفجار الصمت**، وإثرائه بنماذج وشهادات مستمدة من المبدعات اليمنيات أنفسهن، ومن شهادات أخرى موثقة. فمن ذلكم مثلاً، شهادةٌ من الشاعر اليمني المعروف الأستاذ محمد حسين هيثم إذ يقول: "يلاحظ على الصعيد الإبداعي العام أن الرجل أكثرُ حضوراً أو أكثرُ إبداعية من المرأة، ويلاحظ ذلك على المستوى العالمي أو العربي أو المحلي". ثم يتساءل الأستاذ محمد حسين هيثم: "فهل لذلك علاقة بالجنس؟".

فكتاب: **انفجار الصمت**، كما يتضح، فريد بعنوانه، رصين بمحتويات بنيانه، غني بمعلوماته، ثري بمقتطفاته. ذلكم أن كل ما في المرأة يتنفّس فيما تكتب، وينطبق فيما تبدع بحكم تكوينها السيكولوجي الحسّاس.

وأن سيكولوجية المرأة لتؤكد، فيما تؤكد، على أن المرأة حينما تنظّم شعراً، أو عندما تكتب قصة، أو في حال إنشاء أقصوصة، فإنما هي تجري مع سجيتها الأنثوية الشفيفة.. فهي حريّة بالإبداع الذي يجمّل كل ما في الكون.

إن علم نفس المرأة يقول: إن المرأة بكتاباتها إنما تحوِّل أمكنة الحب إلى مهرجان حافل يزخر بالعجائب في مسيرة الحس والفكر والإبداع.

لذا أدعو شبابنا الأعزاء إلى قراءة **انفجار الصمت** للمؤلف والناقد المرموق الدكتور حاتم الصكر الذي أبدع حقاً في الكتابة عن إبداعات المرأة اليمنية. وقد أنهى **انفجار الصمت**، بشهادتين

نسويتين إحداهما لانطلاق المتوكل التي ترى (تجاهل معظم مؤرخي الأدب مشاركات النساء المكتوبة ضمن التحركات الوطنية)، وشهادة أخرى للدكتورة وجدان عبد الإله الصايغ التي انتقت ما أسمته (إضمامة من الأقلام النسوية اليمنية لتكون ميداناً تطبيقياً يجلي رؤى الدراسة ومنطلقاتها).

فاقرأوا كتاب: **انفجار الصمت** لتقفوا على واقع إبداعات المرأة اليمنية شعراً وقصة ورواية.

هذا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

15 - الإنسان والأخلاق والمجتمع

تأليف: جون كارل فلوجل
ترجمة: عثمان نويّه ودكتور سعد الغزالي
راجعه: دكتور عبد العزيز القوصي وأمين مرسي قنديل

قرأت لكم، أيها الشباب، كتاب: **الإنسان والأخلاق والمجتمع**، تأليف جون كارل فلوجل، وترجمة عثمان نويّه ودكتور سعد الغزالي. يحتوي الكتاب المكوّن من ثلاثمئة وثمان وسبعين صفحة، ومعجم بالمصطلحات الإنكليزية وفهرس بالمؤلفين، على موضوعات شتى، وقد نشرته دار الفكر في القاهرة في أواخر الستينيات.

مؤلف الكتاب فلوجل كان أستاذاً لعلم النفس في جامعة لندن، وكان يجيد خمس لغات كتابة وقراءة وحديثاً وفكاهة وقصة. وكان إلى جانب ذلك يعرف الأسبرانتو معرفة جيدة. نشر فلوجل كتباً وبحوثاً كثيرة. وكتابه هذا: **الإنسان والأخلاق والمجتمع**، يعدّ كتاباً قيّماً يجمع بين عمق النظرة التحليلية النفسية وبين سداد الرأي العملي. ذلكم أن عالم النفس في هذا العصر يُحسّ بشيء من القصور والخجل لأنه يدرك أن المجتمع الذي يعيش فيه يواجه مشكلاتٍ بالغةَ التعقيد لا بدّ لحلّها من بذل أقصى الجهد. وهذه المشكلاتُ سيكولوجيةٌ في أساسها، لذا يتطلب حلُّها أنْ يعكفَ العالم النفسي على تقصّي أسبابها وبواعثها ودواعيها. وعلّة ذلك هي أنّ لعلم النفس وضعاً يمكّنه من تناول القيم الأخلاقية وقيم المجتمع، ومشكلاتِ الأشخاصِ والحياةِ على حدٍّ سواء. فهو علمٌ يُلزم نفسَه بأمور كثيرة يمكن إيجازها في نقط أربع:

1. إن لعلم النفس وضعاً يتميّز به عن العلوم الأخرى. إذ إن علم النفس يدرس حقائقَ الحياة العقلية. والقيمَ من "حقائق" الحياة العقلية. لذلك كان من شأن علم النفس أن يختبر القيم من حيث هي أجزاء من الحياة العقلية أو مظاهرُ لها. وأمره في ذلك يختلف عن أمر الطبيعة والكيمياء. فليس ثمة علاقة مباشرة تربط هذين العلمين بالقيم، لأن القيم لا صلة لها بالمادة البحتة.

2. يتعيّن علينا أن نميّز بين العلم البحت والعلم التطبيقي في كل فروع المعرفة، فالعلم البحت يُعنى بالأشياء من حيث هي ولا يستهدف غير المعرفة لذاتها. وأما العلم التطبيقي فيحاول استخدام هذه المعرفة لتحقيق أهداف معينة. ويفترض في هذه الأهداف أنها مستحبة، لذلك كانت لها قيمةٌ خاصةٌ بها فوق قيمة المعرفة الخالصة.

مثال ذلك أن للطب والهندسة قيماً فوق قيم علم وظائف الأعضاء أو علم الطبيعة، فالطب يفترض أن إبراء المريض من مرضه أمر مستحب، والهندسة تفترض أن إنشاء الآلات وصيانتها أمر مستحب. أما العلم البحت فخالٍ من أية قيمة غير قيمة المعرفة الخالصة.

على هذا النحو يمكن تقسيم علم النفس إلى علم نفس بحت وعلم نفس تطبيعي. وقد شاع استخدام علم النفس التطبيقي في الطب والتربية وإدارة المصانع، وبدأ الآن يستخدم أيضاً في ميادين الجريمة والحرب. ويرجى أن تتوطد قدمه قريباً في علم الاجتماع والسياسة. والشأن في علم النفس التطبيقي كالشأن في العلوم التطبيقية، فنفترض قيماً خاصة هي الصحة العقلية وحسن التعليم وانتقاص التعب وتأهيل المذنبين والنصر الحربي، وتسخر معلوماتنا النفسية في خدمة هذه القيم الخاصة.

3. وهذا يؤدي بنا إلى التمييز بين نوعين من القيم هما القيمُ الوسيليةُ والقيمُ الذاتية، أو بعبارة أخرى هما الوسائل والغايات. فالطبيب أو المهندس لا شأن له بالغاية التي يَستخدم لها الجسم البشري أو الآلة، بل يَفترض بداهة أن المحافظة على الجسم البشري أو الآلة أمر مستحب، أما الغايات فيتركها لمن يعنون بالقيم العليا وهم الفلاسفة الأخلاقيون، فعلم الأخلاق هو ما يقرر القيم العليا، أما علم النفس فشأنه كشأن غيره من العلوم التطبيقية في أن عنايته موجّهة إلى الوسائل لا إلى الغايات، أي إلى القيم الوسيلية دون الذاتية.

ولكن غالباً ما يكون التمييز بين الوسائل والغايات مجردَ أمرٍ نسبي. فالقيم أشبه بسلم لا نهاية لدرجة. وكل درجة من هذا السلم وسيلة إلى الغاية التي تعلوها مباشرة. وما يكون غايةً من وجهة نظر معينة يكون وسيلة من وجهة نظر أوسع.

ولنضرب مثلاً: عاملاً بالمدينة قد ضبط جرس ساعته الكبيرة على زمن بعينه ليستطيع النهوض من نومه مبكراً ليلحق بالقطار. هنا يكون النهوض المبكر من النوم "وسيلة" لإدراك القطار، وإدراك القطار هو "الغاية". ولكن إدراك القطار هو بدوره "وسيلة" للوصول إلى مقر العمل. فالوصول إلى مقر العمل غاية "أعلى" من إدراك القطار. وعمل الشخص في مكتبه أو مصنعه "وسيلة" إلى "غاية" أعلى هي كسب الرزق أو إحراز الثروة. ولعل الشخص يعتقد أنه إنما ينشد هذه "الغاية" الأخيرة لأنه يعتبرها "وسيلة لحصوله على السعادة". فالواقع أن التمييز بين الوسائل والغايات أمر اعتباري إلى حد كبير. ولا يكاد يوجد على رأس سلم القيم غير عدد قليل جداً من القيم الذاتية المقررة مثل الصدق والخير والجمال. وإذا أوغلنا في التحليل لم نجد غير قيمة عليا واحدة، تكون الباقيات كلها وسائل إليها. وإننا لنعلم أن علماء الأخلاق لم يتفقوا بعد على هذه القيمة العليا ماذا تكون.

وفضلاً عن ذلك فإننا خلال استخدامنا لوسيلة من الوسائل قد يتكشف لنا أمر جديد يؤدي بنا إلى تعديل في الغاية التي ننشدها. مثال ذلك أن أحد سكان الضواحي قد يذكر حين يصحو من نومه أن جاره سيذهب بسيارته إلى المدينة في الصباح. فإذا ذهب معه إلى المدينة بالسيارة كان هذا خيراً له من الذهاب بالقطار كعادته. وقد يخبره جاره وهما في السيارة أن صديقاً له قد عاد من الخارج وأنه يقيم في فندق قريب، لذلك فقد يؤثر صاحبنا الذهاب تواً إلى الفندق على الذهاب إلى مقر عمله، وبينما هو في زيارة الصديق العائد من الخارج قد يستقر رأيه على أن يستبدل بعمله عملاً آخر في مدينة أخرى يرى أنه يتيح له إحراز الثراء، وقد يتغيّر مجرى حياته كلها تبعاً لهذا القرار. وبينما هو ينشد الثروة في هذا الميدان الجديد قد يتبيّن له أن الثروة ليست أسمى غايات الحياة، فثمة غايات تسمو عليها مثل الشهرة أو النفوذ أو الخدمة الوطنية.

هذا ما يجري في العلم التطبيقي، فنحن في أثناء استخدامنا وسيلة ما لتحقيق غاية معينة قد نعدل هذه الغاية تعديلاً كبيراً. مثال ذلك أن المخترعين كانوا يحاولون أصلاً صناعة مركبة لا تجرها الجياد، فاخترعوا آلة الاحتراق الداخلي. ووجدوا عندئذ أنهم قد قطعوا شوطاً بعيداً في طريق حل مشكلة طيران الإنسان. كما أن مستحدثات الطب أو الاقتصاد قد تؤدي إلى تعديل كبير في نظرتنا إلى حقيقة الصحة أو الثروة.

كذلك الحال في علم النفس. فقد نكون بصدد علاج مرض عصبي، أو تحسين وسائل التعليم، أو تقليل إجهاد العمال، فنجد أن شيئاً قد تكشّف لنا، فزادنا بصراً بكنه الحياة العقلية أو مهمة التربية أو مكانة العمل في حياة البشر، فأدّى هذا إلى تعديل الغاية التي كنا ننشدها. فإذا قيل إن علم النفس لا شأن له بالقيم كان معنى ذلك أنه لا يستطيع تعداد الغايات أو القيم الذاتية. بيد أن موقف الغايات والوسائل موقف نسبي غير مستقر، لذلك كان من أصعب الأمور أن نحدّد من سلم القيم درجة معينة، ونقول إن تأثير علم النفس يجب أن يقف عند هذه الدرجة.

لقد أوضح علم النفس أن الإنسان مدفوع ببواعث لا يكاد يستبينها إلى الغايات العليا التي تعتبر غايات خيّرة مثل الحب والغنى والفضيلة والأمن. فإذا أدى التحليل النفسي إلى فهم الأصل والعلة في توخي الإنسان لهذه الغايات، فربما أدى بذلك إلى تعديل ملموس في قيمتها عند الفرد [3]. ولعل في هذا ما يبرّر خوف الخائفين من تهجم علم النفس على التقديس التقليدي للقيم الذاتية أو الغايات العليا.

4. إنه على قدر دخول علم النفس في مجال القيم الذاتية أو الغايات يكون حلول وجهة النظر النفسية محل وجهة النظر الخلقية، أي حلول الموقف العقلي محل الموقف الانفعالي. فالحكم العلمي عملية عقلية أو عملية معرفية، بينما الحكم الخلقي عملية وجدانية نزوعية [4] وليس أجدى من العلم والمعرفة في فهم المشكلات العويصة.

وعندما يتكلم فلوجل عن الضمير والأخلاق، فإنه يرى أن العمل الأخلاقي هو العمل الذي يطابق القيم. وهذه القيم تقرّرها أساساً طبيعةُ الإنسان البيولوجية واستعداداتُه السيكولوجية.

وفي سياق الضمير والأخلاق يميّز فلوجل بين (الرغبات) و(الواجبات)، وكما يلي:

1. إن الرغبات عموماً، وما يتلاءم منها مع الجسم خصوصاً، تكون مصحوبةً بانفعالاتٍ ومشاعرَ أكثرَ نشاطاً.
2. إن الرغبات أقوى حفزاً على العمل. فهناك لدى الإنسان ميل إلى وضعها موضع التنفيذ في الحال.
3. إن الرغباتِ أكثرُ استمالةً للخيال.
4. إن ما يرتبط من الصور البصرية بالرغبات يزيد كثيراً على ما يرتبط منها بالواجبات.
5. تبدو الرغبات أمراً حبيباً إلى النفس، مقبولاً على الفور بطبيعته، بينما ضرورة القيام بالواجب كثيراً ما يرتاب فيها الفكر الباطن.

6. الرغبة شيء ينبثق مباشرة من الذات، بينما الواجب من بعض الوجوه شيء مقحم على الذات من الخارج.

وفي هذا السياق يجدر القول إن الذات لا بدّ لها من تبنّي الواجب، لأن الواجب هذا إنما هو جزء من تحقيق الذات، وإنه لعنصر هام جداً في صحة الإنسان العقلية، وهو أيضاً لَمِنْ أهم خصائص نمو الحياة الأخلاقية.

كما يجدر بالفرد أن يعي حقيقة هي أن أداء الواجب إنما يعتمد على عناصرَ وجدانيةٍ نزوعية، موجّهةٍ إلى هدف بناء، يفضي إلى غاية أبعد مرتجاة.

فالإنسانُ محكومٌ بأداةٍ خُلُقيةٍ متحكمة، كائنةٍ في العقل، تعمل في ميدانٍ واسعٍ من ميادين النشاط الإنساني، ويميل عملها إلى النظام والاتساق في بعض الناس أكثر منها في غيرهم.

فإنجاز الواجب يرتبط بالضمير الذي يعكس عاطفة اعتبار الذات المرتبطة بكل الحقائق التي يعيشها الفرد في الحياة. والضمير شيء في داخل الذات يطالبها بالخضوع له. وهو في الوقت نفسه شيء تشكّله التأثيرات الاجتماعية والخلقية الخارجية وتقرّر طبيعته.

ففي كتابه الإنسان والأخلاق والمجتمع قد تعمّق فلوجل في موضوعات نفسية كثيرة، وكلها بالغة الأهمية في حياة الإنسان الأثيرة. وقد عالجها بفكر ثاقبٍ يَنمُّ عن عقليةِ عالِم نفسٍ جمّ المناقبِ.

هذا، وإن نفسية الإنسان السوي لهي وحي له بثقة النفس التي من شأنها أن تعاونه على التغلب على ما في الحياة من عقبات حقيقية؛ وأن التفكير الحقيقي الواقعي يظل في المآل هو طريق النجاح في مختلف الأحوال. إن الكتاب بمعلوماته الثرية، وأفكاره الغنية لكتاب يغري القارئ باستلهام موضوعاته المعرفية العملية.

والسلام عليكم ورحمة الله.

16 - الخندق الغميق

تأليف: د. سهيل إدريس
الناشر دار الآداب، بيروت، ط 6 (1993)

هذه رواية قد أتقن كاتبها محاولة توخى فيها تصوير نوع من أنواع الانتقال الاجتماعي من خلال تجربته الخاصة أو تجربة أسرة اتخذها له نموذجاً. ويظهر أنه قد حذا في روايته هذه حذو الدكتور طه حسين في كتاب (الأيام). لكن الفارق هو أن طه حسين تحدّث عن نفسه بصيغة (الفتى)، بينما يتكلم سهيل إدريس عن الشاب (سامي) بطل الرواية، فيصوِّر ذلك الانتقال الاجتماعي (تصويراً قصدياً حافلاً بالحركة واللمسات الإنسانية) على حدّ تعبير رئيف خوري أحد المعجبين بالرواية إياها؛ وقد راقت له كثيراً، على ما يبدو، فخصّها بالإطراء.

أراد أبو سامي أن يكون ابنه شيخاً مثله. استأثرت الفكرة بادئ الأمر بلبّ الابن الشاب الذي ألحقه أبوه بمعهد ديني. ارتدى سامي الجبّة والعِمّة: الزي الذي كان سيرتديه طوال أيام حياته لو أنه بقي على زهوه به خلال العام أو العامين الأولين من حياته في ذلك المعهد.

راح الشاب الشيخ يشعر أن العِمّة والجبّة مظهراً يلزم مرتديهما أيّاً كانت سنّه بوقار ظاهر في كل تصرفاته وسلوكياته. فكان بعد ارتدائه الزي الجديد، يتهيّب من محادثة أقرانه من فتيان المدرسة الذين كانت تجمعهم به مقاعد الدراسة الابتدائية؛ وعلة تحاميه محادثتهم إذا لقيهم في الطريق، كان يعزوها في همسه الذاتي إلى احتضان الحشمة التي تقتضيها الجبّة والعِمّة.

إذا كان الشأن كذلك مع الأتراب فكيف يكون الأمر في النظر إلى النساء حتى لو كُنّ من الأقراب؟

وبيناً هو يسير ذات يوم، سمع صوتاً نسوياً يناديه، فرفع نظره إلى مصدره، فإذا بامرأة على شرفة تهتف:

"- يا شيخ... يا شيخ...

وعاد يغضّ نظره، فإنه لا يليق بشيخ أن ينظر إلى النساء. ألم يَروِ لهم مدرّس الحديث قول النبيّ "النظرة الأولى لك والنظرة الثانية عليك"؟ أو لم يذكر لهم مدرّس الأدب قول عنترة:

وأغضّ طرفي ما بدت لي جارتي
حتى يواري جارتي مأواها

ووقف مطرقاً إلى الأرض برأسه، يتساءل ما عساها تريد منه هذه المرأة، لعلّها تودّ أن تسأله سؤالاً دينياً، فليس في لهجتها ما ينمّ عن أنها تستخفّ به، فهي لم تقل "يا شيخ صغير.."، وهو قد رأى في نظرتها لهفة ورصانة.. ومع ذلك، فهل يليق بها هي أن تطرح عليه سؤالاً دينياً من على شرفة؟ وهل أصبح هو جديراً بأن يجيب على قضايا الشرع وأحكامه؟ أما كان الأفضل أن يؤجّل ارتداء العِمّة ريثما ينهي دراسته الدينية، أو يقطع فيها شوطاً طيباً؟

وارتفع صوت امرأة الشرفة ثانية يقطع عليه تفكيره وتساؤله ليقول:

- يا شيخ... يا شيخ... انتظر قليلاً حتى أنادي أختي لتأتي فتتفرّج عليك...".

كان هذا المشهد كفيلاً بأن يحاصر الشيخ الناشئ داخل زوايا الذات، وأن محاصرة الذات لهي، دونما شك، من أشقِّ ما تكون على الإنسان في مسارب الحياة. فصوّر له عقله الغضّ أن يخرج من عالمه المغلق إلى عالم يتصرّف فيه كما يشاء، ويقول ما يشاء، ويكتب ما يشاء. فأيقن بأن الكتاب

والقلم سيكونان وحدهما في المؤطّر، النافذتين المفتوحتين له على الدنيا التي كان يراها في عين خياله.

كان الشيخ الناشئ يرغب في ارتياد ما يروم من المقاهي ودور السينما، لكن العمامة والجبّة تصدّانه عما تنتويه النفس السوّالة. وإذ خلع ذات ليلة زي المشيخة وذهب إلى إحدى دور السينما مع رفاق له أربعة من نفس معهده الديني، أحسّ في اليوم التالي بتوجّس في نفسه، وقد صدّق ظنّه وتحقق في حدسه:

"وكان يستمع إلى درس المنطق شارداً يكاد لا يعي شيئاً، حين استدعاه الناظر إلى مكتبه، فخرج من الصفّ يوجس خيفة. ولما عاد بعد دقائق إلى الصفّ، كان يتجنّب النظر إلى أي من رفاقه الذين صحبهم بالأمس. لا بدّ لهم من أن يقرأوا في عينيه أنه خانهم. ولكنّه لم يدر هو نفسه كيف استطاع الناظر أن يحمله على الاعتراف بكلّ ما حدث ليلة الأمس. إنه لم يستطع أن يكذّب. وحين خرج من مكتب الناظر، ابتهل إليه كالأطفال ألاّ يخبر رفاقه بأنه هو الذي روى له ما روى. فوعده الناظر ودعاه للعودة إلى الصف.

وكانوا يهمّون للصعود إلى المسجد، عصر ذلك اليوم، حين طلبه الناظر مع رفاقه الأربعة، وبادرهم بأنه علم ما ارتكبوه بالأمس، وبأنه لن يرفع قضيّتهم إلى رئيس المعهد، وإنما سيكتفي بتحذيرهم وتوبيخهم. والتفت بعد ذلك إلى رفاقه، فأنذرهم بالطرد إذا قصدوا السينما مرّة ثانية، ووصف السينما بأنها بؤرة فساد وإفساد وأنها تعلّم الرذيلة وتدفع إلى الموبقات. ثم وجّه إلى رفاقه نظرات نارية ذات مغزى، فعلم أنهم لا بدّ قد أدركوا أنه هو الذي وشى بهم إلى الناظر، ما دام قد استثناه من التحذير بالطرد. والواقع أن رفاقه لم ينبسوا ببنت شفّة، ولم يوجّهوا إليه كلمة أو نظرة، فأدرك أن حبل صداقته بهم قد انقطع إلى الأبد، وأحسّ بالخجل من نفسه...

على أن صلته "برفيق" لم تنقطع، فقد عاد إليه صديقه يحدّثه بعد يومين كأنما لم يحدث شيء، فأكبر فيه إخلاصه وودّه ولكنه تعرف في تلك الأثناء إلى طالب من طلاب الصف المنتهى، أو الجيل الأول من المشايخ كما كانوا يُدعون. وكانت مناسبة ذلك أنه قرأ اسم "عزيز" في مجلة مصرية تحت عنوان قصة مترجمة عن الفرنسية، وكانت لسامي ميوله الأدبية. فتعرّف على شاب لامع في الأدب اسمه عزيز، فسعى إليه يطلب التعرّف به، ورحّب به عزيز وأنشأ يحدّثه عن ذلك المؤلف الفرنسي الذي ترجم له تلك القصّة حديثاً شيّقاً ينمّ عن سعة ثقافة ورهافة ذوق. ولم يلبث طويلاً حتى عرف أن صديقه الجديد كان محبوباً بين جميع رفاقه لما كان يتمتع به من خلق رفيع، وخفّة روح وطلاقة وجه. وكان يلذّه أن يسعى إلى عزيز كلما وجد نهزة من الوقت، فيجلس إليه مع كثير من رفاقه فيحدّثهم حديثه الطلي في الأدب والفن، ثم يمزج ذلك بنكات ومُلح مما يحفظ. وكان عزيز يتخذ من رفيق لهم شيخ كان كبير الجثّة سميناً يُدعى "كزكز" هدف سهامه، يناوشه ويتندّر عليه في غير ما أذى. وقد حدث أن عزيز كان يؤم الطلاب في صلاة المغرب ذات مساء، ويبدو أن الشيخ كزكز كان قد تخلّف في تلك الصلاة فلم يدركها إلا في الركعة الثانية. وقد شعر المصلّون بوطأة جسمه ووقع خطاه حين دخل المسجد فارتجّت له جدرانه، ويبدو أن "عزيز" كان أشدّهم شعوراً بمجيء "الشيخ كزكز" فإذا هو ينهي قراءة الفاتحة بسرعة، ثم يختار للقراءة سورة تناسب المقام، فيتلو بصوت مرتفع: "إذا زُلزلت الأرض زلزالها، وأخرجت الأرض أثقالها، وقال الإنسان ما لها..." فلا يتمالك أحد الطلاب نفسه من الانفجار بالضحك، وسرعان ما يتبعه الجميع فتفسد الصلاة كلها... وعجبوا حين التفتوا أن يروا الشيخ كزكز مستغرقاً هو أيضاً في الضحك، وقد احمرّ وجهه ودمعت عيناه، فبدا أكثر سمنة وضخامة...

وكانت أواصر الصداقة تتوطّد بينه وبين "عزيز"، وكان يجلس طويلاً يستمع إليه وهو يقرأ بعض الأقاصيص الفرنسية ليختار منها أفضلها للترجمة، ويشجّعه على أن يترجم هو أيضاً بعض القصص، ويَعده بأن يتوسّط له كي ينشرها في تلك المجلة المصرية. وعلى الرغم من أن "عزيز" كان يكبره بعشر سنوات على الأقل، فقد جعله حبُّ الأدب الذي يجمع بينهما يشعر بأنه ينتمي إلى جيل صديقه، أو أن صديقه ينتمي إلى جيله هو".

كثيرة هي سوانح الحياة التي تبده بعض الناس فتحدث تحويلاتٍ في حياتهم، يهجرون طريقاً فيسيرون طريقاً غيره. وحياة (سامي) هي الأخرى قد تغيّرت لأسباب لعل للصدفة فيها أثراً بالغاً. فها هو يقول:

"أوشك العام الدراسيّ على الانتهاء، فانصرف الطلاب إلى مراجعة دروسهم واستذكار ما حفظوه من القرآن والحديث، فكان هدير أصواتهم ينبعث معظم ساعات النهار في قاعة الدرس.

وحين أعلنت نتائج الامتحانات، كان هو في عداد الناجحين المجلّين. فتقبّل تهاني أساتذته جميعاً. غير أن رئيس المعهد لم يوجّه له كلمة واحدة، فازداد كرهه له، فيما جعل يتساءل عن سبب هذا الودّ المفقود بينهما: أيكون مرد ذلك إلى هذا الاختلاف بين ضخامة جثّة الرئيس وضآلة حجمه هو؟ إن كان هذا هو السبب، فأجدر بالرئيس أن يزداد عطفاً عليه ورفقاً به!

وفرح بالعطلة الصيفية التي ستستغرق ثلاثة أشهر، ومنّى النفس بأن ينصرف فيها إلى المطالعة وإلى المضيّ في ترجمة الرواية الفرنسية التي كان يأمل أن ينجزها في آخر الصيف.

وازداد فرحه حين أعلن أبوه أنهم سيقضون الصيف في الجبل، وأنه قد استأجر بيتاً في قرية "المريجات" التي تشرف على سهل البقاع. وكانوا قد اعتادوا على الاصطياف في قرية جميلة تُدعى "عيناب"، ولكنهم كانوا يشكون من صعوبة المواصلات فيها.

وحين بلغوا المصيف الجديد، وقف على شرفة البيت الذي استأجره فإذا سهل البقاع ينتشر أمام ناظريه بساطاً في مئة لون ولون تشربها العين فلا ترتوي. واستنشق نسمة رطبة مرّت، فاخضلّت روحه بنداوة منعشة بعثت في نفسه حنيناً إلى الانطلاق في حياة لا تحدّها قيود الزمان والمكان.

وكان قد مضى عليه دقائق وهو يتأمّل البساط السندسي، إذ ارتفع من شرفة الطابق الأعلى صوت رقيق ينادي فتى كان جالساً تحت شجرة غير بعيد عن البيت. ورفع نظره، فرأى عينين كبيرتين سوداوين تنظران إليه. ولا يلبث رأس صاحبتهما ذو الشعر الطويل الأسود أن ينحني انحناءة يسيرة، كأنما ليحيّيه، فردّ التحية وهو يشعر بأن صدره بدأ يخفق، وبأن وجنتيه تلتهبان بالدم. وتراجع خطوتين فدخل البيت يحاول أن ينشغل بمساعدة ذويه في فتح الحقائب، والعينان السوداوان الكبيرتان ما تزالان في عينيه، والوجه المستدير الطفل يملأ خياله. وحدّثته نفسه أنها – على ما يبدو – في مثل سنّه، وحدس بأن هذا الفتى الذي كانت تناديه كان أخاها، وأحسّ بأنه سعيد أن بادرته هي بالتحيّة من رأسها... ولم يدرِ لماذا لم تحدّثه نفسه بالخروج إلى الشرفة مرة أخرى. كأنما كان يخاف. ولكن أباه دعاه عند الأصيل وطلب منه أن يخرج فيؤذّن لصلاة العصر. وتردّد لحظة، ثم استجاب. وحين انتهى من الآذان، رفع عينيه، فإذا خمسة رؤوس أو ستة تطل من الشرفة العليا.. وكانت الفتاة تبتسم... وعاد يحسُّ بخفق صدره والتهاب وجنتيه.

وخرج مع أهله بعد قليل يستريحون على الشرفة ويسرّحون أبصارهم في السهل الفسيح المنبسط حتى قدم الجبل. وإن هي إلا دقائق حتى رأوا سكان الطابق الأعلى، وهم أصحاب البناء، يهبطون السلم. وفتّش بعينيه عنها، فلم يجدها بينهم. ومكث يتساءل أين عساها تكون؟ هل خرجت قبل ذويها، أم أنّها تلازم البيت؟ وتوقّفت سيدة من الجيران عند أسفل السلم تحيّي أمه وتبلّغها أنهم

سيقومون بزيارتهم بعد ظهر الغد للتسليم عليهم. ثم تابعت طريقها مع من كان معها. وظل هو يتساءل أين الفتاة ذات الشعر الأسود الطويل؟

ورآها على الشرفة حين انتهى من آذان المغرب، وسمعها تقول له بكل بساطة "صوتك جميل" فأغضى حياء. ثم تشجّع ونظر إليها نظرة أطول، فأُخذ بجمال وجهها المستدير الناصع، المشرب الوجنتين بحمرة طبيعية رقيقة. وكان يوشك أن يقول كلمة يشكرها بها حين غابت فجأة عن الشرفة.

ولم يكن يتوقّع، حين طرقوا بابهم في اليوم التالي، أن ينقسموا قسمين، فتدخل هي وأمّها وأختها غرفة "الدار"، حيث استقبلتهنّ أمّه وأخته، ويدخل أبوها وأخوها غرفة الاستقبال حيث استقبلهما هو وأبوه.

وتململ في مجلسه، وكان سمعه متّجهاً طوال الوقت جهة "الدار" يلتقط نثاراً من كلام النساء لا يميّز فيها صوتها.. هي. وجعل يُحدّث أخاها الذي عرف أن اسمه "سميح" وأنه قد نال منذ أسابيع شهادة الدراسة الابتدائية. وأضاف "سميح" أن أخته "سميّا" – وكانت تكبره بثلاثة أعوام – قد حازت أخيراً شهادة الكفاءة.. وأحبّ هذا الاسم: "سميّا"، وقال في نفسه إنه كان هو أيضاً في صفّ شهادة الكفاءة.. لو لم يصبح شيخاً.

وحين دقّت أصابع أخته هدى الباب عليهم لتناوله القهوة، أتيح له أن يراها.. هي سميّا.. وأن يبتسم لها ابتسامة سريعة فتجيبه بمثلها، ولما عاد بفناجين القهوة فارغة، رأى أخته تتحدّث إليها وتضحك.. وضحكت "سميّا" بدورها حين رأته واقفاً ينتظر من يتناول منه الفناجين، فعلم أن أخته كانت تحدّثها عنه.

وكان شارداً ساهماً ينظر عبر النافذة إلى السماء الزرقاء حين قال له أبوها:

– لقد أحببنا آذانك.. وأبلغني والدك الآن أنك شيخ، فهل تسمح بأن ترتدي الجبّة والعِمّة لنرى قليلاً؟

وسرعان ما ذكر عبارة تلك المرأة التي استوقفته يوماً بالقرب من بيتهم. ولكنه إذ نظر إلى والد سميّا اطمأنّ إلى أنه لم يكن يودّ السخرية. على أنه ظلّ فترة متردّداً، إلى أن حثّه أبوه على الدخول إلى غرفته وارتداء زيّه الديني. ومرّ "بالدار" فرأى سميّا ورأته أمّها وأختها فسلّمتا عليه بترحاب. ولكنهما إذ رأتاه عائداً وقد ارتدى الجبّة والعِمّة، حجبتا وجهيهما بيديهما حتى لا يراهما.. فعجب لذلك. وأما سميّا، فقد لمح على وجهها علامة الاندهاش والتعجّب، ولم يُتح له أن يعرف أكثر من ذلك إذ دخل غرفة الاستقبال على عجل، فاستقبله الأب مرحّباً مردّداً: "ما شاء الله.. ما شاء الله!".

وانتابه آنذاك بعض الضيق، وتساءل في قلق: "ما عساها.. تقول عني وأنا بالجبّة والعِمّة؟" وأصبح كل همّه أن يعرف رأي سميّا به، شيخاً".

كان سامي يعتقد أن بوسع المرء، إذا ضنّ عليه الواقع بتحقيق أحلامه، أن يخلق دنيا من الأماني تحمل له العزاء عما ينوي العزوف عنه واستقبال دنيا جديدة يصنعها له عقله ويجسدها بخياله. وهذا من شأنه أن يدفعه بلا توانٍ إلى ما يغمره بشيء من دفء الأماني. لقد أحسن سهيل إدريس في حبك نسيج روايته هذه إذ جعل بطلها (سامي)، والذي تقمّصه إن لم يكن هو نفسه، يعاني صراعاً نفسياً، وتأزماً ذاتياً: مرد الصراع المحترب في ذات سامي، إلى كيفية المواءمة بين تقاليد استثقلتها نفس البطل، والرغبة في الانطلاق بدون قيود، وهي رغبة أجّجتها في وجدانه تفتّح أول عاطفة عنده شغلت كل كيانه إذ:

"استبدّ به الشوق إلى سميّا، ذات ليلة، وهو يطالع في مكتبة المعهد، فانتابه ضيق في صدره، أخذ يتحوّل إلى كابوس ما أمعن في التفكير بها. وجعل يتساءل كيف السبيل إلى لقائها؟ واستولى

عليه اليأس إذ فكّر بهاتين الجبّة والعِمّة اللتين لا مفرّ له من ارتدائهما أبداً، واللتين تمنعانه من السعي إلى سميّا والالتقاء بها. وأحسّ بالعرق يتصبّب من جبينه من فرط الضيق، فنهض من مجلسه لا يدري ما الذي ينبغي له أن يفعل...

ثم شعر بقدميه ترقيان به سلّم الطابق الثاني من بناية المعهد، وتقودانه إلى المسجد.

وبعد أن توضّأ، صلّى ركعتين، ورفع يديه في الركعة الثانية إلى السماء وصعّد من أعماقه نداءً حارّاً إلى الله أن يحفظ له حبيبته وأن يجمعها به في أقرب فرصة... ثم هبط إلى غرفته وأوى إلى سريره وقد زال ضيقه وهدأت نفسه.

وفي اليوم التالي فوجئ بالناظر يستدعيه إلى مكتبه، ويطلب منه أن يغلق الباب خلفه، فيفعل وهو يوجس خيفة، وصمت الناظر لحظة قبل أن يتناول عن طاولته رسالة يبسطها له وهو يقول:

– هذه الرسالة لك... وقد فتحتها كما تقتضي بذلك قوانين المعهد... وهي من فتاة لم تكتب إلا الحرف الأول من اسمها "س"...

وخفق صدره، والتهبت وجنتاه، وأخذ ينظر إلى الرسالة بلهفة سرعان ما تنقلب إلى خوف إذ يتطلّع إلى الناظر فيجده قاسي العين، جامد القسمات. ومدّ يده إليه، فقال الناظر:

– مهلاً.. سوف أعطيك إياها هذه المرّة.. ولكن يجب أن تعلم أن مثل هذه الرسائل محرّمة هنا، وأنها لا تُسلّم إلى أصحابها.. بل يجب أن تعرف أكثر من ذلك: إن الطالب الذي يتلقّى مثل هذه الرسائل مهدّد بالفصل!

وتوقّف الناظر لحظة ثم أضاف:

– إن الطلاب هنا للدراسة، لحفظ القرآن والحديث والفقه، لا للخفّة والطيش والحبّ!

واحترق وجهه بدم الخجل الذي نفر إليه، وأطرق في الأرض لا يحير جواباً، ولكنه شعر شعور المهانة لعاطفته التي شاء الناظر أن يذلّها. وفكّر للمرّة الأولى بأن هذا الحب الذي يملأ عليه نفسه قد غدا عنصراً هاماً من عناصر حياته لا يقلّ أهمية عن درسه ومستقبله.

غير أنه آثر ألاّ يردّ على الناظر بشيء، وظلّ يترقّبه حتى مدّ له الرسالة وهو يقول:

– إنني إذن أنذرك يا شيخ سامي... وقد أعذر من أنذر!

فأومأ برأسه إيجاباً وتناول منه الرسالة بكفّ ترتجف، وأخفاها في جيبه ثم خرج...

ومضى إلى لحديقة، فانتحى منها ركناً قصيّاً، وأخذ يقرأ رسالة سميّا بقلب خافق.

وكان يعيد تلاوتها للمرة الثالثة حين أعلن الجرس انتهاء الاستراحة، فدخل قاعة الدرس شارداً مضطرباً، وأحسّ بالرسالة في جيبه تحرق حروفها جنبه. وكان يضمّ يده عليها يتحسّسها بين فترة وأخرى، ويشعر بأنها تحمل له وجود سميّا كله، وتغمر حياته بالشوق واللّهفة".

إن براعة الدكتور سهيل إدريس قد تجلّت في النأي عن الرتابة في السرد، وفي القدرة على درء الملل أن يتسرّب إلى نفس القارئ. فهو في القسم الثاني من الرواية يفسح المجال لأخت سامي (هدى) أن تتحدّث عن مشاهد متصلة بما قبلها من واقع الأسرة النفسي والاجتماعي وما لها ولأخيها سامي من تفكير مشترك ومستقبل يسعيان إليه كلاهما فهي تقول:

"حين خرجت من المدرسة، بعد ظهر ذلك اليوم، كنت أوشك أن أعدو في الطريق عدواً. ولكني حين بلغت منعطف الشارع الرئيسيّ في حيّنا، تمهّلت في سيري، خشية أن ألفت إليّ الأنظار، وأثير الهمسات. والواقع أني كنت أشعر بضيق شديد، كلّما بلغت ذلك الشارع، فقد كان أقلّ ما يتوجب عليّ هو أن أحكم الحجاب على وجهي، وأن أزرّر معطفي، وأن أترصّن في مشيتي. وما كان لي أن أنسى تعليمات أبي وتوصياته في ذلك. بل هو قد نصحني يوماً أن أتجنّب المرور في ذلك

الشارع، وأن أسلك زقاقاً جانبياً ضيّقاً يفضي بي إلى المدرسة. ولكني شكوت من أن ذلك الزقاق نَتِنٌ موحش. فأعفاني أبي من سلوكه، غير أنه عاد يتشدّد في أن ألتزم كل حدود الحشمة والرصانة حين أبلغ شارع الحيّ، حتى انتهى بي الأمر إلى الإحساس بعبء يثقلني كلما انعطفت في ذلك الشارع، إذ كنت مضطرّة إلى التباطؤ، فيما أنا شديدة الرغبة في الإسراع والاختفاء.

وبعد ظهر ذلك اليوم بالذات، كنت أشدّ رغبة في الإسراع، لأبلغ البيت. وقد وضعت يدي على الجرس، ولم أرفعها عنه إلاّ بعد أن فتحت أمي الباب حانقة مزمجرة. فبادرتها بلهفة:

– هل عاد سامي؟

وسرعان ما نسيت غضبها، فتهلّل وجهها، فصحت بها أسألها:

– هل نجح سامي؟

فأومأت برأسها إيجاباً، وأضافت أنه خرج في الثالثة بعد الظهر ولما يعد، فإذا الفرحة تستخفّ بي فلا أدري ما أفعل، غير أن أرتمي على أمي أشبعها تقبيلاً، وأنا أردّد "حبيبتي أمي، حبيبي سامي"!

إنك لا تستطيع يا سامي أن تدرك مدى سعادتي بنجاحك! إنني أتمثّلك الآن يا أخي منكبّاً فوق طاولتك، تطالع وتدرس، وتبذل نور عينيك للكتاب، محاولاً أن تستدرك بأيّ ثمن ما فاتك من الدراسة الرصينة وأنت في المشيخة. وكم دخلت أمّنا الغرفة عليك، فألفتك نائماً فوق الكتاب تحتضنه! وكم كانت تلاقي من المشقّة لإقناعك بالنهوض إلى سريرك! كان ما صمّمت عليه يا أخي فوق ما يحتمله شابٌّ مثلك، وما كان أحدٌ ليُصدّق أنك مستطيع أن تستكمل في عام واحد جميع ما هو مطلوب في برنامج الدراسة الثانوية. ولكنك لم تُلقِ بالاً لأحد، وانصرفت إلى كتبك. أتذكر يا سامي يوم جئتك فقرأت في عينيك الإجهاد ورجوتك أن تشفق على نفسك، ثم ألححت عليك في أن تخرج إلى النزهة على شاطئ البحر، ولكنك رفضت، وقلت في كآبة:

– اسمعي يا هدى! أنت تعرفين أني قضيت أربعة أعوام، وأنا سجين هذا البيت بفضل المشيخة.. ولكن إطلاق سراحي مرهون بأن أبقى سنة أخرى في هذا السجن.. ولا بدّ أن تكون سنة جدّ وتعب وتحصيل.

ثم ابتسمت يا سامي، فشعرتُ أن وراء بسمتك أسى هو أكبر منك يا عزيزي. ولقد تركتك لشأنك وأنا أزداد تعلّقاً بك. وكم كنت بحاجة إلى معونتك في دروسي، ولكني كنت أوثر ألاّ أضايقك، فقد كان حسبك ما أنت فيه.. وها أنت تنجح الآن يا سامي، والعقبى لي في العام القادم. إنني أعتزّ بك يا أخي، ولا بدّ أن تعتزّ بي أنت أيضاً حين أفوز بالشهادة، ونتابع معاً دراستنا الجامعية".

بات سامي وأخته هدى يرقبان المستقبل يراودهما حلم استكمال دراستهما الجامعية: حلم راودهما **(ليالي طويلة ساهدة واجفة)**. تنتهي الرواية بفصولها المحبوكة بموت رب الأسرة المتنفّذ بأمره. تتزوج هدى من (رفيق) صديق سامي في الدراسة في المعهد، والذي خلع الزي الديني هو الآخر، وراح يعمل في متجر بوساطة من سامي. سافر سامي للدراسة الجامعية خارج بلده – لبنان.

بوفاة الأب انفرط عقد الأسرة تقريباً، وهكذا دائماً هو حكم القدر على جملة البشر.

كان سامي وهدى يمنّيان نفسيهما بآمال فساح ومرامي في الحياة عِراض. إذ كانا يتمنيان متابعة الدراسة العالية، غير أن أعنّة التقادير هي التي تلوي سبيل الإنسان إلى غير ما يشاء قد يكون المآل أحياناً إلى الأجمل، ولعله في أحايين يفضي إلى ما يصدق عليه قول الأديب الراحل أحمد حسن الزيات:

"... كم يا صديقي في أجادب الدنيا وصحارى الحياة من أزاهير لوّحتها السّموم وصوّحتها الهواجر، ولو أنها غرست في أطايب الأرض لكانت زينة العيش وبهجة النفس ومتعة النظر".

17 – كتاب: الطبيعة

تأليف: أرسطوطاليس
ترجمة: إسحق بن حنين

الكتاب مكوّن من جزأين، وكل جزء منه يتألّف من أربعمئة صفحة ونيف. حقّقه الدكتور عبد الرحمن بدوي وهو عالم مصري مشهور. نشرت الكتاب في القاهرة الدار القومية للطباعة والنشر عام 1964م.

أصل هذا الكتاب محاضرات ألقاها أرسطوطاليس على تلاميذه. وكان الأحرى أن يكون عنوان الكتاب: **محاضرات في العلم الطبيعي**، حسبما يرى الدكتور عبد الرحمن بدوي، محقّق الكتاب.

لكتاب **الطبيعة** ترجمات عربية عديدة. ولعل أقدم هذه الترجمات، هي ترجمة سلام الأبرش وهو من أوائل المترجمين في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري. تلتها ترجمة إسحق بن حنين المتوفى سنة 298هـ الموافق للعام 911م.

وقد ذكر ابن النديم في (الفهرست) تفصيلات عن هذا الكتاب وعن مترجميه إلى اللغة العربية.

وقد تولّى شرح كتاب **الطبيعة** لأرسطو شرّاح عرب ومسلمون كثيرون منهم مثلاً لا حصراً:

1 – أبو علي الحسن بن السمح
2 – يحيى بن عدي
3 – أبو بشر متى بن يونس القنّائي
4 – أبو الفرج بن الطيب

كل هؤلاء الأعلام كانوا من المجلّين في ميادينهم العلمية، وأسماؤهم تسطع كالنجوم تضيء صفحات المراجع التأريخية التي تذكرهم بثناء عاطر يسرّ النفس ويشفي الخاطر.

إن كثرة الشرّاح لكتاب الطبيعة سواء في ذلك من الغرب كانوا أم من بلاد الشرق جاؤوا، لدليل قاطع على ما للكتاب من مكانة علمية وعلى ما اشتمل عليه من أهمية. فالكتاب وما تضمنته صفحاته من فرضيات استدلالية، وما احتواه من مناقشات استقرائية كلها تحفّز الذهن وتشحذ العقل.

يستهلُّ أرسطو الجزء الأول من كتاب **الطبيعة** إذ يقول:

"لما كانت حال العلم واليقين في جميع السبل التي لها مبادئ أو أسباب أو أسطقسات إنما تكون من قِبَلِ المعرفة لهذه، وذلك أنّا حينئذ إنما نعتقد في كل واحد من الأمور أنّا قد عرفناه متى عرفنا أسبابه ومبادئه الأولى حتى نبلغ إلى أسطقساته – فمن البيّن أن في العلم بأمر الطبيعة أيضاً قد ينبغي أن نلتمس أولاً فيه تلخيص أمور مبادئها"، ص 1.

كلام أرسطو هذا لا يخلو من الجدل المعمّق. فهو بحاجة إلى شرح وتبيين. لذلك يعقّب عليه أبو علي الحسن بن السمح بقوله:

"غرضه في هذا الكتاب أن يتكلم في الأشياء اللازمة للأجسام الطبيعية وهذه هي أسبابها وما يتبع الأمور الطبيعية، ويتكلم فيما يظن أنه سبب، وفيما يظن أنه يتبع الأمور الطبيعية. فكلامه في الأسباب هو كلامه في الهيولى والصورة؛ وكلامه فيما يظن أنه سبب هو كلامه في العدم لأن الفعل لا يمكن استئنافه إلا عن عدم. وليس يتكلم في هذه الثلاثة الأشياء ليبيّن وجودها، لأن الصنائع الجزئية لا تبيّن أسباب الأمور، وإنما تبيّنها صناعة الفلسفة الأولى. لكنه يتكلم فيها من أربعة أوجه: أحدها يتكلم فيها: ما هي؟ فيقول: إنها هيولى وإنها صورة وعدم. ويتكلم فيها: كم هي؟ فيذكر عددها. ويتكلم فيها: ما حال بعضها عند بعض؟ فيقول: إن الهيولى موضوع، والعدم

والصورة يتعاقبان عليه. ويتكلم فيها: ما هو السبب الذي بالذات، وما هو السبب الذي له بالذات؛ ويبيّن أن السبب الذي بالذات هو الهيولى والصورة، والذي بالعَرَض هو العدم.

أما كلامه فيما يتبع الأمور الطبيعية فهو كلامه في المكان والزمان والحركة. وأما كلامه فيما يظن أنه تابع، فكلامه في الخلاء، وما لا نهاية.

قوله: "في جميع السبل" – أي الطرق إلى الصنائع. الطرق الصناعية هي التي يقع الابتداء فيها من مبدأ محدود إلى غاية محدودة بمتوسطات محدودة.

وقوله: "مبادئ" – قد يراد به الغاية، لأن اسم المبدأ يقع على الغاية.

وقوله: "أو أسباب" – قد يقع على الفاعل الذي ليس هو من ذات الشيء، كالبنَّاء. وأما الأسطقسات فتقع على أسباب الشيء الذي تركب منها. فقد جمع في هذه الثلاثة سائر الأسباب والمبادئ. وقد أورد قياساً في أن العلم بالأمور الطبيعية لها مبادئ وأسطقسات، والأمور التي لها مبادئ فالعلمُ بها واليقين إنما يكون من العلم بمبادئها، والعلم اليقين بالطبيعة يكون من العلم بمبادئها. ويعنى "بالطبيعة" ها هنا: الأجسام الطبيعية التي فيها قوةٌ على التغيُّر. إلا أنه ألغى المقدمة الصغرى والنتيجة، واقتصر على الكبرى وذكر ما يتبع النتيجة وهو قوله: فمن البيّن أنه في العلم بأمر الطبيعة قد ينبغي أن نلتمس أولاً فيه تلخيص أمور مبادئها. وقد ذكرنا أنه يتكلم في المبادئ: ما هي؟ وكم هي؟ وما حال بعضها عند بعض؟ والعلم بـ "ما الأسباب" نافع في العلم بالمسببات".

شروح أبي عليّ وتوضيحاته هذه لتجلو غوامض ما يُسْتَبْهمُ من كلام أرسطو في كتاب **الطبيعة**. وإن تعقيباته هذه لَتنمُّ عن تبحّر في الفلسفة وتبصّر في العلم.

ويمضي أرسطو في كلامه، وكأنه يحاور الطبيعة من حوله، وكأنه يحادث كل ما في الحياة، إذ يقول:

"ومن شأن الطريق أن يكون من الأمور التي هي أَعرفُ وأَبين عندنا، إلى الأمور التي هي أَبين وأَعرفُ عند الطبيعة. فإن الأمور المعروفة عندنا ليست هي الأمور المعروفة على الإطلاق. ولذلك قد يجب أن نسلك هذا المسلك فنتطرّق من الأمور التي هي أَخفى عند الطبيعة وأَبينُ عندنا إلى الأمور التي هي أَبين وأَعرف عند الطبيعة. والأمور التي هي أولاً عندنا واضحة بيّنة هي الأمور المختلطة خاصة، ثم بأَخرةٍ تصير لنا – من قبل هذه الأسطقسات والمبادئ – بيّنة. ولذلك قد ينبغي أن نتطرق من الأمور المجملة إلى الجزئيات، وذلك أن الجملة أعرف في الحسّ، والمجمل هو جملة ما، وذلك أن المجمل يشتمل على أشياء كثيرة كالأجزاء له.

وقد وقع ذلك بعينه من وجهٍ من الوجوه للأسماء عند الحدود، وذلك أنها تدلّ على جملة ما غير ملخّصة كقولك: "دائرة". فأما حدّها فإنه يلخّص بالجزئيات. والصبي يتوهّم في أول أمره على كل رجل يراه أنه أبوه، وعلى كل امرأة أنها أمّه، ثم بأَخرةٍ يميّز فيحصّل كل وحد من هذين".

وتفسيراً لكلام أرسطو الآنف يقول أبو الحسين محمد بن علي البصري:

"ظاهر كلام أرسطو في هذا الفصل يقتضي أنه يتطرّق بالمركبات إلى الأسباب، لقوله: "ولذلك قد ينبغي أن نتطرّق من الأمور المجملة إلى الجزئيات". وقوله: "والمجمل هو جملة ما" يعني أنه يحتوي على أشياء، ويشبه ذلك باسم الدائرة الدالّ على جملة غير ملخصة، وحدها الدال على ما يفصل الدائرة من غيرها. وكذلك معرفة الصبي أولاً بالإنسان مجملاً ثم يعرف أباه. فالعلم بالأشياء مجملاً هو الأسبق، ثم يتأخر عنه التفصيل بالجزئيات. وعلى هذا فالحسّ أول ما يقع...".

إن مناقشة أرسطو لكل ما يكتنفه من بيئة، ومن أجواء، ومن فضاء، ومن البشر، وما في الحياة الاجتماعية من تطلعات يسعى إليها الناس لاكتناه واقع وجود الإنسان.

ففي كتاب **الطبيعة**، تحدّث أرسطو أيضاً عن الهندسة، والرياضيات، وعن اللامتناهي، وعن الوجود، وعن الفيزياء، وعن كل ما في الكون من تفاعل، وما في هذا الفضاء الفسيح من آيات، وما في الآفاق من بيّنات، كثيراً ما يمرّ بها الإنسان ساهياً سادراً.

يتساءل أرسطو مثلاً فيقول: "لعل قائلاً يقول: إن الفعل والانفعال شيئان ليسا واحداً في الموضوع".

وإن يحيى بن عدي يعلّق على قول أرسطو هذا قائلاً: "إمّا لاختلاف اسميهما، وإما لاختلاف نهايتيهما. فإن التي نهاياتها مختلفة مبادئها أيضاً مختلفة، ونهاية الفعل أن يفعل ونهاية الانفعال أن ينفعل...".

كلام أرسطو وتعليق يحيى بن عدي عليه، إنما يتعلقان بحركة الأجسام وما يتولّد عنها من طاقة، ومعنى الطاقة الكامنة والمحرّكة والمتحرّكة.

ولاستجلاء شواهد الكلام أكثر فإن يحيى بن عدي يضرب مثلاً حسياً يستمدّه من مألوف العلم والمعلّم والمتعلّم فيقول:

"فإن الذي يَعْلمُ المُعَلِّم هو بعينه الذي يتعلّمه المتعلم، والتعليم الذي يكون من المُعَلِّم هو بعينه التعلم الذي في المتعلم، إلا أن هذا وإن كان واحداً فهو في الموضوع واحد فقط".

لقد أضاف أرسطو في كتاب **الطبيعة**، إضافات علمية مستنيرة، تنمّ عن إشعاعات عقل ذلك الفيلسوف الذي خلّدته أعماله الفلسفية والعلمية والتعليمية. إن كل ما خلّفه أرسطو من آثار فكرية، ومن مآثر إنسانية لتنطق بما كان يتمتّع به من عقل وقّاد وفكر نفّاذ وظّفهما في إسراج شعلة نور العلم الذي من شأنه أن ينير بصيرة الإنسان ويبدّد غياهب الظلام ويمحو دياجير الجهل والجهالة.

فاقرأوا، يا أبناءنا الشباب، كتاب **الطبيعة** لأرسطو، وما رصّعه به أسلافنا ومفكرونا من نواصع الكلم وجواهر الحكم، وما أضافوه من شروح وتصويبات واضحات. لنتعلّم جميعنا كيف يكون الحوار العلمي الهادف، وكيف تتلاقح أفكار العباقرة عبر تفاعل ثقافات الحضارات.

18 – القسم الأول: حلقة عن موسوعة القرآن وعلم النفس*

للأستاذ الدكتور عبد العلي الجسماني
الناشر: الدار العربية للعلوم، بيروت

حديثنا الآن عن كتاب بعنوان: **القرآن وعلم النفس**، تأليف الأستاذ الدكتور عبد العلي الجسماني الأستاذ بقسم علم النفس في كلية الآداب بجامعة صنعاء.

وقد تمّ نشر الكتاب بأجزائه الثمانية باسم "**موسوعة علم النفس القرآني**"، على امتداد عدة أعوام ابتداءً من الجزء الأول عام 1997، ولغاية الجزء الثامن عام 2003؛ حيث قامت بنشر الكتاب بأجزائه الثمانية هذه "الدار العربية للعلوم" في بيروت.

إن كل جزء من الأجزاء الثمانية لكتاب **القرآن وعلم النفس**، يتضمن ستة فصول، وكل فصل منها يتحدث عن موضوع محدّد قوامه الآيات القرآنية الكريمة وما ورد بشأنها من تفسيرات فقهية؛ وقد استند الأستاذ الدكتور عبد العلي الجسماني في الأجزاء الثمانية لكتاب **القرآن وعلم النفس** عن طريق ربطها بعلم النفس بمفاهيم علم النفس التراثية والحديثة، ولكن الإطار العام والمرجع فيها يبقى هو القرآن الكريم.

ولنأخذ أمثلة على ما تضمنه الكتاب في جزئيه الأول والثامن باعتبارهما يمثلان – ضمن الوقت المحدد لهذه الحلقة الإذاعية – ما استهلّ به المؤلف وما اختتم هذه الموسوعة:

إذ يقول أ. د. عبد العلي الجسماني في الجزء الأول من **موسوعة علم النفس القرآني** هذه إن: القرآن الكريم يظلّ كتاباً وسفراً مفتوحاً أمام الأجيال تتوارد على معينه السلسل لتنهل من دفقه المتجدّد أبداً، وما ينطوي عليه من علم نفسٍ قرآني يبقى ما بقي الدهر على وجه كوكبنا هذا رحْبَ المدى متّسع الأفق سخي المورد ميسور المنال.

ثم يستطرد أ. د. عبد العلي الجسماني في مقدمة الجزء الأول من كتاب **القرآن وعلم النفس:** إن القرآن بآياته العظيمة وبمرامي غاياته الساميات الفريدة إنما هو ترصين للنفس الإنسانية وتطمين للروح البشرية ليستقيم لها الصلاح.

ويقع الكتاب في جزئه الأول في (296) صفحة موزّعة على ستة فصول. يتناول **الفصل الأول** النفس المطمئنة. يتحدث فيه المؤلف عن النفس والروح؛ وكذلك النفس في أحوالها والروح في أقداسها؛ ثم للنفس براهينها وأفعالها.

وهو (أقصد بذلك المؤلف) يحاول الربط بين إجماع المفسرين حول الموضوعات التي تناولها هذا الفصل ومعطيات علم النفس الحديث المتمثّل بأسلوب البحث والتحليل النفسي.

كما تناول أ. د. عبد العلي الجسماني في كتابه **القرآن وعلم النفس** في **فصله الثالث** (النفس الأمّارة) تحدّث فيه عن النفس والقوى الإنسانية؛ وعن النفس وعالمها الصافي، وكذلك عن النفس الأمّارة والتوق إلى الحياة، ثم عن النفس الأمّارة وطبائع الإنسان، ثم عن التنازع والصراع النفسي؛ وكذلك عن النفس الأمّارة والحواس، وأخيراً عن النفس الأمّارة وصلتها بالواقع الحسّي.

وفي **الفصل الرابع** من الجزء الأول من كتاب **القرآن وعلم النفس**، تناول المؤلف النفس السوّالة تطرّق فيه إلى النفس السوّالة ووازع الضمير، والنفس والسلوك الإنساني، والنفس السوّالة وأفعالها، ومنافذ النفس وأهوائها؛ والنفس بالقيم الذاتية والموضوعية تقترن؛ وختمه بموضوعٍ بعنوان للنفس غفلة واضطراب.

و**الفصل الثاني** تحدّث عن النفس اللوّامة متناولاً النفس اللوّامة والقلق، والنفس اللوّامة ونهي النفس عن الهوى، والنفس اللوّامة ومراقبة الذات، والنفس اللوّامة والضمير، والنفس صنيعة الإيمان؛ وأخيراً الصحة النفسية والإيمان متلازمان.

أما **الفصل الخامس** فقد خُصّص للنفس الموسوسة؛ وقد تناول فيه المؤلف أ. د. عبد العلي الجسماني هذا الموضوع بالحديث عن كل نفس بسلوكها مقيدة؛ ثم تناول النفس الموسوسة بالانسحار تصاب، والنفس الإنسانية ووجوه سلوكها؛ وللنفس الإنسانية مظاهرها الخاصة، وأخيراً للنفس هداية وغواية.

أما **الفصل الأخير** وهو **الفصل السادس** فقد خصّصه للنفس المطواعة الخاسرة حيث تناول فيه المؤلف شذوذ النفس وأخطاء التفكير؛ والنفس والضمير والندم؛ والخطيئة والندم بتأنيب الضمير يرتبطان.

وقد اعتمد المؤلف أ. د. عبد العلي الجسماني في توثيق معلوماته ومعطياته على القرآن الكريم والتفاسير المختلفة ومصادر الأحاديث الشريفة والمصادر العربية العامة والأجنبية لبيان أثر القرآن الكريم وتناوله لمعطيات علم النفس.

كما يقع كتاب **القرآن وعلم النفس** في جزئه الثامن والمعنون بـ رُقي عقل الإنسان بالعلم والإيمان في (280) صفحة موزّعة على خمسة فصول استهلّ كلاً منها المؤلف أ. د. عبد العلي الجسماني آية قرآنية كريمة. تناول **الفصل الأول** والذي استُهل بالآية الكريمة:)فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ(.

وتساءل المؤلف فيه هل الزمان هو كما في حسابات الإنسان؛ وتحدّث أيضاً عن أنه ليس بحركة عقارب الساعة يقاس الزمن ويقدّر الارتقاء؛ ثم تحدّث عن كينونة الإنسان يحتويها الزمان والمكان؛ ثم تناول موضوعاً أسماه بنفسه وعقله يسير الإنسان مع الزمن؛ واختتمه بموضوع أسماه "بيئة لا زمن فيها".

أما **الفصل الثالث** والذي استهُلّ بالآية الكريمة:)وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ(فقد تناول الموضوعات الآتية: في التسخير تربيةٌ وحضٌّ على التفكير؛ والثُقب الأسود والزمن وخوارق الكون؛ وكذلك الثقوب السوداء الدوّارة من المعجزات؛ ثم التسخير والعقل والارتقاء في مضمار الحياة؛ ثم فضلُ العقل وذمُّ الهوى، وأخيراً العقل والقلب والنفس.

واستُهلّ **الفصل الرابع** بالآية الكريمة:)تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ(حيث تضمن موضوعات تتصل في النفس أسرارٌ ربانية؛ ثم صورةٌ رمزيةٌ قرآنيةٌ لمكوّنات الإنسان؛ ثم هل فَهِمْنا نحن البشر أنفسَنا؟ وأخيراً أعظم قوة في الإنسان عقلُه وأقوى طاقةٍ فيه نفسُهُ.

وتناول **الفصل الخامس** الذي استُهلّ بالآية الكريمة:)قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ(بخاتمةٍ شاملة تحدّث فيها إلى ما يرقى إلى الإجماع على أن البصائر في القرآن إنما هي الدلالات، والبيّنات، والحجج، والأدلة الهادية، وإرشاد الإنسان إلى العمل الصالح، الابتعاد عن العمى والغي والضلال، والتبصير والتنوير؛ والتي توضّح بجلاء – كما يعرض ذلك أ. د. عبد العلي الجسماني مؤلف هذا الكتاب – احترام الخالق سبحانه وتعالى لعقل الإنسان وذهنه ونفسه من خلال التناسق النفسي بين الخطوات المتدرجة في كثير من النصوص والآيات القرآنية لكونها أوقع في النفوس وأظهر.

وفي الختام يمكن بحق اعتبار موسوعة **علم النفس القرآني** ممثّلاً بكتاب **القرآن وعلم النفس** لمؤلفه أ. د. عبد العلي الجسماني لمن يقرأ هذه الموسوعة من المثقفين والباحثين والمتعلمين مصدراً

ثقافياً وعلمياً مهماً برع فيه المؤلف في إظهار أن قرآننا الكريم وديننا الحنيف يمثلان موسوعةً علمية تناولت الحياة بكل أبعادها العلمية والاجتماعية والسياسية وغيرها، ويعكس عظمة علم النفس القرآني وخلاصةً – كما يذكر المؤلف – احتوت بدقتها وعمقها على خصائص علم النفس الحديث من حيث نظرياتُه ونتائجُه حريٌّ بكل مثقف وباحث قراءتها والتعرّف عليها.

أ. د. طارق محمود رمزي
أستاذ القياس والتقويم التربوي والنفسي
كلية الآداب – جامعة صنعاء

19 – القسم الثاني: حلقة عن موسوعة القرآن وعلم النفس

للأستاذ الدكتور عبد العلي الجسماني
الناشر: الدار العربية للعلوم، بيروت
الدكتور طارق محمود رمزي

حديثنا الآن أيها الشباب الأعزاء عن كتاب بعنوان: "**القرآن وعلم النفس**"، تأليف أ. د. عبد العلي الجسماني، الأستاذ بقسم علم النفس في كلية الآداب بجامعة صنعاء.

كنا قد تحدّثنا في حلقة سابقة عن هذا الكتاب بأجزائه الثمانية الذي قامت بنشرهِ الدار العربية للعلوم في بيروت؛ ولخّصنا ما تضمّنه الكتاب في جزئيه الأول والثامن؛ وفي هذه الحلقةِ من قرأت لك، سأتناول ما تضمّنته الأجزاء الثاني والثالث والرابع من هذه الموسوعة.

فالجزء الثاني من الموسوعة والذي يضم 263 صفحة تناول الإدراك الحسي فقد احتوى الكتاب على ستة فصول استهل به أ. د. عبد العلي الجسماني الفصل الأول بالآية القرآنية الكريمة)وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ(محللاً تلك الآية في موضوعات فرعية تؤكد أن القرآن الكريم يركز على أن ما تراه في هذا الكون الهائل ليس تكراراً ذاتياً فحسب، بل إنه ليكشفُ عن حقيقة السريرة الإنسانية المتطلعةِ إلى استكناه جلائل العظمة المسيّرة لهذا الخلق الكوني الرهيب، محدداً عناوين في هذا الفصل هي:

هناك وجودٌ للحقيقة المطلقةِ، سرُّ التأتّي إلى بيانِ الحقيقةِ، التكوينُ العقليُّ والنظامُ المعرفي يقترنان، هذا الكونُ مفصَّل موصَّل، والإدراكُ والمثلُ العليا في عصر العلم.

أما الفصل الثاني فقد استهله بالآية الكريمة)وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ(يتحدث فيها عن مهرجانِ الكون، ثم يتحدث عن الآية الكريمة)وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ(، وكذلك الآية الكريمة)إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ(في هذا الفصل يتحدّث المؤلف عن الإدراك في أنه ظاهرةٌ نفسيةٌ مركبةٌ تقتضي توافر بعض الشروط الفسيولوجية وتستدعي عملاً ذهنياً معقّداً ومركّباً، وكلُّ شيء في هذا الكون إنما يحيا بناموسه وبسنةِ قوانينه التي استنها له خالقُه تعالى ويعتمد الإنسان على حواسه الخمس وما أُودع فيه من عقلٍ في إدراك هذا العالم الذي يحيط به إذ يُدرِكُ الإنسانُ هذا الكونَ فيندهشْ وينبهرْ.

أما الفصل الثالث فقد أعطى له أ. د. عبد العلي الجسماني مؤلف هذه الموسوعة عنواناً استهله بالآية الكريمة)تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا(تضمن ما يأتي: الفرقُ بين النجم والكوكب، والآية الكريمة)فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ(، والآية الكريمة)لاَ الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ(؛ ثم سبرُ أغوارِ الفضاءِ، وكيف يعي الإنسانُ المحسوسات.

فقد اهتمّ المسلمون بعلم الفلك وعدّوا تفكيراً علمياً يفرضه الدين الإسلامي الذي يريد للإنسان أن يشغل عقله بالنافع عن العلوم وأن يتفكر في خلق السماوات والأرض. إن آيات السماوات والأرض إنما خُص بها المؤمنون الذين استقامت منهم العقول وتستقيم، ذلك لأن الذين تَعْوَجُّ عقولُهم وتَؤوفها آفات المرض العقلي أو المرض النفسي أو المرض الأخلاقي أو المرض الاجتماعي أو المرض الانحرافي المتعمّد كلُّ أولئك يصيبُ إدراكهم ما يُطلق عليه في علم النفس بـ (إخضاعه التأمل الإدراكي). ولقد جعل ابن طُفَيل من قصةِ (حي بن يقظان) رمزاً حياً لعقل الإنسان الذي يستطيع

بفكره الوقّاد أن يتوصل إلى أن ما في هذا الكون وما هو قائم فيه إنما هو محتاج إلى فاعل قدير مقتدر، وأن يكونَ وراءَهُ مديرٌ عظيمٌ لا يمكن إدراكُه بالحواس وإنما تدركُه العقول الصائبةُ الثاقبة. ولقد ربط المؤلف أ. د. عبد العلي الجسماني بين الآيات القرآنية حول إدراك الكون وبما توصل إليه العلماء وأكدوا حقيقة ما ذكر في القرآن الكريم من آياتٍ عظيمةٍ حول كُنه الكون وسعةِ أفُقُه فحريٌّ بنا أيها الشباب الواعي الناهض أن نتمسك بقرآننا العظيم وأن نفكر ببنية سلوكنا وبظواهرية هذا الكون المدهش.

أما الفصل الرابع فقد استُهل بالآية الكريمة)أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ(حيث تضمن موضوعات تناولت آفاق الكون الفسيحة معجزات، وآفاق الكون والبعد الإنساني، والتواصل بين الوجدان البشري وإيقاعات الكون، وما في الكون آياتٍ للتجربة الشعورية الواقعية.

وتضمن الفصل الخامس الذي استُهل بالآية الكريمة)سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ(موضوعات تتعلق: بالكون وحدة متناغمة، ونواميس الكون ذاتُ منظومةٍ واحدةٍ، والآيات القرآنية توحِّد القلب والفكر في عملية وعي للحقائق الكونية.

أما الفصل السادس والذي استُهل بالآية الكريمة)قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ(فقد احتوى على موضوعات ترتبط بدينامية وحدة الحياة في الكون، ثم الآية الكريمة)أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ(؛ ونجوم يشتدُّ بريقها.

يخلص أ. د. عبد العلي الجسماني في موسوعته هذه "القرآن وعلم النفس" وفي هذا الجزء الثاني من الموسوعة إلى أن القرآن الكريم حضَّ على التفكير والعمل، والتفكير فريضة إسلامية والبحث في مجال علم النفس هنا يجعل السلوك الإنساني أدعى إلى الفهم وأقرب إلى التعليل العلمي المنطقي لذا يجد الشاب نفسه أقرب ما يكون إلى إرواء ظمئه من المعرفة حين يتدبر الآيات القرآنية التي توجه عناية الإنساني إلى ما تحفل به بيئَتُه التي تكتنفُهُ ما بين الأرض والسماء ملتمساً تعليلاً وتفسيراً من معطيات علم النفس ولكن بعد الاستهداء بآراء الشُّراحِ والمفسّرين ممن يُعنون بعلوم القرآن من العلماء والأجلاّء.

أما الجزء الثالث من موسوعة القرآن وعلم النفس للمؤلف أ. د. عبد العلي الجسماني والذي يضم 232 صفحة والذي تناول الإدراك الإنساني في قسمه الثاني فقد تضمن ستة فصول تناول الفصل الأول منه الذي استُهل بالآية الكريمة)وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى(؛ اتصالُ الإنسان بالعالم المحسوس؛ وأفاء الوعي الإنساني، والإدراكُ الحسيّ والحبْكُ العقلي، والإدراك والأسس العينية؛ وما أكثر المدركات في هذا الكون؛ والإنسان لا يُدرك بالحواس وحدها؛ في حين تضمن الفصل الثاني من هذا الكتاب والذي استُهل بالآية الكريمة)فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ(؛ كم من أنواع السلوك هناك؟

والآية الكريمة)كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ(، والذاتُ والإدراكَ.

والفصل الثالث الذي استُهل بالآية الكريمة)أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ * أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ(يحتوي على موضوعات مثل: وهذا؛ فماذا يستلزِمْ؟؛ والإدراك الحسيّ سلوكٌ؛ فهل الإنسان يُدركُ بحواسهِ وعقلهِ؟

وتضمن الفصل الرابع الذي استُهل بالآية الكريمة)أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ(بموضوعات هي: الإدراكُ سبيلٌ إلى المعرفةِ والعلمِ؛ والإدراكُ علمٌ واكتشافٌ.

أما الفصل الخامس الذي استُهل بالآية الكريمة)أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ(فموضوعاته هي: للإدراك عناصرُهُ، والعلاقة بين الانتباهِ والإدراك؛ وحياةُ الإنسانِ في قواهُ العقلية.

كما تضمن الفصل السادس الذي استُهل بالآية الكريمة)وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ(موضوعاتٌ تتعلقُ بكيف تكتمل الصورُ المدركةُ؛ ومشاهدُ إدراكيةٌ في الكون رائعةٌ؛ والإدراك يمكِّن من اكتشافِ قوانينِ الحياة.

وفي هذا الجزء من موسوعة القرآن وعلم النفس يخلص المؤلف أ. د. عبد العلي الجسماني إلى الجمع بين إعجاب البشر بقدرة الله على خلق هذا العالم المتعدد الفسيح وبين لغة العلم الذي يتعلمه الإنسان بمقدار ما يُنعِمُ عليه خالقُه جلّ وعلا من حظٍ ومعرفةٍ، فالفردُ يتصل بالعالم المحسوس بواسطة الإحساسات والإدراكات الحسية، واستقبالاتُه الحسيةُ العضويةُ، لكن الإدراكاتِ الحسيةَ تبقى ناقصةً ما لم يَدعمْها عقلٌ متكاملٌ يترجمُ بدقةٍ ما تتناقلُهُ الحواسُ ليتأتى للإدراك التكاملُ والتناسقُ والتناغمُ. وكلُّ كلمةٍ كريمةٍ في آيات القرآن إنما هي تعبيرٌ عن واقعٍ حسيٍّ يستلزم تيقظاً فكرياً إلى ما ورائها من عظمة جليلة.

أما الجزء الرابع من سلسلة موسوعة القرآن وعلم النفس والذي أعطى له أ. د. عبد العلي الجسماني عنواناً أسماه "النفسُ في المنهج القرآني" فإنه يقع في 271 صفحة موزعةً في ستة فصول يشتملُ الفصل الأول منه الذي استهله بالآية الكريمة)وَلَوْ شِئْنَا لأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا(موضوعات مثل هداوة النفسِ واهتداؤها؛ وهكذا طُبعت النفوسُ؛ وللنفس مداها التكيفي؛ وليس للنفس إلا انتهاجُ سبيل الاستقامة؛ وهدايةُ النفوس ليس طريقاً واحداً؛ ودراسة النفسِ الإنسانية ضمن إطارها النابض بالحياة؛ وهل هناك أكثر من نفسٍ؟

كما تضمن الفصل الثاني منه والذي استُهل بالآية الكريمة)فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا(موضوعات هي: للنفسِ في الهداية راحةٌ ونعمةٌ؛ والنفسُ حقيقةٌ لا مِراء فيها؛ فطبيعة النفس وبنيتها؛ وأطراف النفس واستصلاحها؛ وسماحةُ النفس في السلوك تبدو آثارُها.

أما الفصل الثالث والذي استُهل بالآية الكريمة)قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا(فقد اشتمل على موضوعات هي: الاعترافُ على النفسِ بالذنبِ؛ وللعقيدة معناها ومنطقُها، ثمّة سبلٌ تُفضي إلى ترسيخ المعتقداتِ في النفوس؛ وللنفسِ مهاراتُها الخارقةُ.

أما الفصل الرابع والذي استُهل بالآية الكريمة)وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ(فيتناول موضوعات هي: ارتكابُ الخطيئة إساءةٌ إلى النفس؛ والنفسُ وعناصر الكيان الإنساني؛ والقوةُ النفسيةُ في الحياة الإنسانية؛ وماذا أراد القرآن بالإنسان؟؛ وماذا يُدرِكُ الإنسانُ من أمرِ نفسِه؟

أما الفصل الخامس والذي استُهل بالآية الكريمة)وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا(؛ فقد خصّهُ المؤلفُ للموضوعات الآتية، الحاكميّةُ المطلقةُ لله وحده؛ ووحِدةُ النفسِ الإنسانيةِ؛ وقانونُ العنايةِ بالإنسان؛ والإنسانُ وَحْدَةٌ فعّالةٌ في هذا الكونِ.

وتضمّن الفصل السادس من هذا الجزء الذي تصدّرته الآيةُ القرآنيةُ)وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ(موضوعاتٍ تخصُّ: التهديدُ الرعيب وإشفاقُ القلبِ، وللإنسان حاجاتهُ النفسيةُ والجسميةُ والاجتماعيةُ؛ وتعديلُ السلوكِ؛ والنفسُ ناقصةٌ لكنها قابلةٌ للكمالِ.

وفي هذا الجزء من الموسوعة يخلص المؤلف أ. د. عبد العلي الجسماني إلى أن الإنسان إذا ما أحسَّ بالمسؤوليةِ وشعر بها فإنه بذلك يحققُ التكامل لذاته: التكاملُ نفسياً وأخلاقياً واجتماعياً، وإذا ما اضطربت قيمُ الإنسان وبالذات الشباب فإنما يترتب على ذلك جملةُ نتائجٌ عكسيةٍ تمسُّهُ في صميم تكوينه النفسي من ذلك تفاقمُ قَلقِه وإصابته بأمراضٍ نفسية واضطراب حياته كلِّها نتيجةً لاضطرابِ شخصيتهِ؛ وعلى الشباب اليمني الناهض أن ينيروا ما استطاعوا إلى إصلاح الأخلاق وعلاج آفات السلوكِ فعن طريق معرفة حُسن الخُلق القويم؛ والسلوك السويّ السليم يستطيعُ إدراكَ

الخلقِ الذميم، والسلوكِ المتنكِّبْ عن الصراط القويم، وعلى الشبابِ أن يأخذوا من القرآن الكريم ما هو المنهج السليم والقويم لسلوكهم وفلاحهم في حياتهم وتأمين مستقبلهم، ولقد وُفِّق المؤلف أ. د. عبد العلي الجسماني حقاً في الربط بين ما جاء في القرآن الكريم من سُوَرٍ وآياتٍ كريمةٍ وبين ما استخلصه من حقائقَ وآراءَ نفسيةٍ ونظرياتٍ تربويةٍ في جميع مجالات الحياة. فحريٌّ بشبابنا أن يطلّعَ على هذه الأجزاء من الموسوعة.

والله ولي التوفيق والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أ. د. طارق محمود رمزي رؤوف
أستاذ القياس والتقويم التربوي والنفسي
كلية الآداب – جامعة صنعاء

20 – القسم الثالث: حلقة عن موسوعة القرآن وعلم النفس

للأستاذ الدكتور عبد العلي الجسماني
الناشر: الدار العربية للعلوم، بيروت
الدكتور طارق محمود رمزي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كنا قد تحدثنا لشبابنا الأعزاء في الحلقتين السابقتين عن موسوعة علم النفس القرآني للأستاذ الدكتور عبد العلي الجسماني الذي قامت بنشرِهِ الدارُ العربيةُ للعلوم في بيروت ولخّصنا ما تضمنتْهُ الأجزاء الأولى والثانية والثالثة والرابعة؛ وفي هذه الحلقةِ من قرأتُ لك سنتناول ما حاول أن يربط فيه المؤلفُ بين إعجاز القرآن وحقائقِ علم النفس بالحديث عن الأجزاء الخامسة والسادسة والسابعة من الموسوعة.

فالجزءُ الخامسُ من الموسوعة والذي يضمُّ (269) صفحةً موزعةً على ستةِ فصولٍ عنوانه "نداءُ الفطرةِ الإيماني" **تضمّن الفصلُ الأول فيه** والذي استُهلَ بالآيةِ الكريمة)أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ(موضوعات هي: الشعورُ بالاطمئنانِ حاجةٌ نفسيةٌ؛ وللإيمانِ أثرهُ الجليُّ في طمأنينةِ النفسِ؛ والقرآنُ ونداءُ الفطرةِ؛ ومكمنُ النقصِ في النفسِ البشريةِ. **كما تضمّن الفصل الثاني** موضوعاتٍ مثل: بالبُشرى تنشرحُ النفسُ؛ والإيمانُ مصقلةٌ للقلبِ وطُمأنينةٌ للنفسِ؛ وللنفسِ بصيرتُها النافذةُ؛ حيث استهل أ. د. عبد العلي الجسماني هذا الفصل بالآية الكريمةِ)وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ(. **أما الفصل الثالث** والذي استُهِلَّ بالآية الكريمةِ)وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ(فقد تناول موضوعاتٍ هي: هدوءُ القلبِ واطمئنانُ النفسِ؛ ومرضُ القلب معنوياً؛ وتأمّلْ ضميرَكَ في حاضِرِك لا في مرآةِ الخيالِ؛ وللإيمانِ أثرُهُ في طُمأنينةِ النفسِ والقلبِ معاً. **كما تضمّن الفصل الرابع** والذي استُهِلَّ بالآيةِ الكريمةِ)وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ(الموضوعات الآتية: القلبُ هو الإنسانُ نفسَاً وروحاً؛ والإنسانُ عقلانيٌّ بنفسهِ وقلبهِ وضميرِهِ؛ وللقلبِ والنفسِ كيفياتُهما؛ والنفحةُ العلويةُ نورٌ في القلبِ وإشعاعٌ في النفسِ. **وتصدَّرَتْ** الآية الكريمةُ)وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا(الفصل الخامس الذي تضمن موضوعاتٍ هي: الإنسانُ بقلبِهِ ونفسهِ يستقبلُ الكونَ؛ وهارمونيةُ الكونِ المذهلةِ؛ وفي النفسِ والقلبِ نفائِسُ العلمِ مستودَعةٌ؛ ولا بدَّ للقلبِ والنفسِ من اليقينِ. أما **الفصل السادسُ** والذي تصدّرتهُ الآيةُ الكريمةُ)وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ(؛ فقد تناول موضوعاتٍ هي: في التمحيصِ يكمُنُ بياضُ اليقينِ؛ وللقلبِ في هذا الكونِ وظائفُهُ؛ وإحساسُ النفسِ والقلبِ برحمةِ اللهِ؛ وبقلبِهِ يفقَهُ الإنسانُ ويعقِلُ.

يقولُ المؤلفُ أ. د. عبد العلي الجسماني في هذا الجزءِ من الموسوعةِ إن إنسانَ اليومِ في حياتهِ الفرديةِ والاجتماعيةِ وفي حياته النفسيةِ والجسميةِ يفتقدُ من ضمنِ ما يفتقدُهُ الشعورُ بالأمانِ والطُمأنينةِ لذلك أيها الشباب، فإن الإيمان بالله نافذةُ أمانٍ لإيجادِ التوازنِ في الأهواء النفسية التي هي منشأٌ لكثيرٍ من الاضطرابات النفسية وبالإيمانِ باللهِ تتكامل صورةُ الحياة. ولقد اكتُشِفَ في التحليل النفسيّ أن الإنسانَ حينما تتملّكُهُ الحيرةُ وعندما تستحوذُ عليه البلبلةُ الفكريةُ، وكلما أحسَّ بقلّةِ الإيمانِ افتقدَ الثقةَ في نفسهِ وما يترتبُ على ذلك من حالاتٍ نفسيةٍ لعلَّ أهمها الاكتئابُ واليأسُ.

أما الجزءُ السادسُ من الموسوعةِ فيتضمنُ قسمين يتناولُ القسم الأول منه الشخصيةَ المسلمةَ حسْبَ المنهاجَ القرآني ويضمُّ (280) صفحةً موزعةً في ستةِ فصولٍ تتصدّرُ الآيةُ الكريمةُ)يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنْ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ(**الفصل الأول** منه ويضم موضوعاتٍ هي: خلَقَ اللهُ الإنسانَ من ترابٍ ثم من نطفةٍ؛ والحياةُ الإنسانيةُ قصيدةٌ شعريةٌ؛ والإخصابُ والحمْلُ؛ وانتقالُ الخلايا التناسليةِ؛ وعمليةُ الإخصابِ؛ ونتائجُ عمليةِ الإخصابِ؛ والمشيمةُ؛ غُدةٌ صمّاءُ؛ والولادةُ؛ وأطوارُ ارتقاءِ الشخصيةِ.

ثم تناول المؤلف أ. د. عبد العلي الجسماني **الفصلُ الثاني** بتأطيره بالآيةِ الكريمةِ)وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُم(؛ حيث عرضَ موضوعات هي: فطرةُ الإيمان كامنةٌ في كيانِ الإنسانِ، ومن ظلمةِ الأرضِ إلى نور الحياةِ؛ والشخصيةُ الإسلاميةُ تناهِضُ الشِركَ والظلالَ؛ وفي الإنسانِ تكمُنُ نفحاتٌ علويةٌ.

أما **الفصلُ الثالثُ** والذي استُهلَّ بالآيةِ الكريمةِ)خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ(فقد خَصّصَ له المؤلفُ الموضوعاتِ الآتيةِ: شخصيةُ الإنسان بين المبدأ والمصير؛ وأين يكمُنُ اللُغزُ حول مصدر قوى الإنسانِ وشخصيتهِ؛ والتدرجُ في إنشاءِ القاعدةِ الإيمانيةِ، والقاعدةُ الإيمانيةُ في الإسلامِ ومرتكزاتُها الفكريةُ والعلميةُ.

أما **الفصلُ الرابع** والذي استُهلَّ بالآيةِ الكريمةِ)خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا(فقد اشتملَ على الموضوعاتِ الآتيةِ: الإنسانُ يعيشُ في مِهرجانٍ من صُنعِ اللهِ؛ ومحاربةُ الكفرِ وهدايةُ الناسِ، والشخصيةُ في سَناءِ النورِ الخالدِ؛ ومقامُ الإنسانِ في الإسلام.

أما **الفصلُ الخامسُ** فقد أُطِّرَ بالآيةِ الكريمةِ)فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ(متناولاً موضوعاتٍ هي: بين العقيدةِ والشعائرِ تفاعُلٌ حيّ؛ وإسلامُ الإيمانِ لا الإجبارُ؛ وعناصرُ الكيانِ الإنساني؛ والشخصيةُ المسلِحةُ في أبعادِها الفطريةِ والروحيةِ؛ وكيفَ تكتملُ النظرةُ الدينيةُ لواقعِ الإنسان؟

كما **تناول الفصل السادس** من القسم الأولِ من هذا الجزءِ السادس من موسوعةِ القرآن وعلم النفس والذي أطّرَهُ المؤلفُ بالآيةِ الكريمة)اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً(موضوعاتٍ هي: سماتُ الإنسانِ وضَعفُهُ، والإنسانُ ومكانتُهُ في الإسلامِ؛ وفي الدينِ رابطةٌ بين الخالق والمخلوق؛ ووجهُ الحقِ في قيمةِ الإنسان.

يعرضُ المؤلف في هذا القسم من الجزءِ السادس من الموسوعة أن الشخصيةَ الإسلاميةَ شخصيةٌ وسطيّةٌ تتصفُ بخصائصَ ومقوماتٍ اتّسمت بها فهي شخصيةٌ تشبّعَتْ بعقيدةِ العلمِ والتعلّمِ فحسَمَتْ الخصومة بين الدينِ والعقلِ وجمعتْ بين الإيمانِ والعلمِ؛ والإيمانُ باللهِ الواحد الأحد يعني ترصين مكانةِ الشخصيةِ ثباتاً ورسوخاً، فالشخصيةُ المؤمنةُ تُصبِحُ لها قوةٌ وفاعليةٌ لتحقيق ما تؤمِنُ به، والشخصية الإسلاميةُ تعرفُ الخيرَ وما تُفضي إليه، وتُدركُ لجاجةَ السُوءِ والشرّ وما يؤولُ إليهِ؛ فالشخصيةُ المسلمةُ تستمدُّ حيويتها من حيويّةِ الإسلامِ إنه دينٌ متجددُ الحيويّةِ، متجدّدُ النشاطِ والعملِ من أجلِ صالحِ الفردِ والجماعةِ والأمةِ والإنسانيةِ وهو بعيدٌ عن الجمودِ والخمولِ وعلى الشبابِ الواعي أن يأخذَ بهذه الخصائصِ الساميةِ ليكون سلوكُهُ قويماً صحيحاً يحقِقُ له التوافق النفسي والصحة النفسية.

أما **الجزء السابع** من موسوعةِ القرآنِ وعلم النفس في قسمهِ الثاني فقد أعطاهُ مؤلفُهُ أ. د. عبد العلي الجسماني عنواناً باسم "الشخصيةُ المسلمةُ حسْبَ المنهاج القرآني والذي يضم (285) صفحة فقد تناول فيه موضوعاتٍ وُزّعَت في ستةِ فصولٍ **بدأ بها الفصل الأول** بآيةٍ كريمة هي)اهْدِنَا

الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ(تناول فيه الموضوعاتِ الآتية: الشخصيةُ المسلمةُ بنورِ ربها تهتدي؛ ووحدةُ العقيدةِ والترابطِ بين المكوناتِ النظريةِ والتطبيقيةِ؛ والعلمُ والإيمانُ؛ والتكاملُ المنهجيُّ بين العلمِ والإيمانِ؛ ولا بدَّ للشخصيةِ المسلمةِ من دورٍ في العلمِ والعملِ.

أما **الفصل الثاني** والذي استُهلَّ بالآيةِ الكريمةِ)عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ(فقد عرضَ فيه الموضوعاتِ الآتية: أسبابُ التعلُّمِ ووسائلُهُ من اللهِ مسخّرةٌ؛ والشخصيةُ المسلمةُ بالإيمانِ تستنيرُ.

وتناول **الفصل الثالث** الذي تأطّرَ بالآيةِ الكريمة)وَالسَّلاَمُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى(موضوعات أهمها: الشخصيةُ المسلمةُ بسلوكها ليست مغلقةٌ على نفسِها؛ والشخصيةُ المسلمةُ المتميزةُ صَقَلها الإيمانُ بالله؛ وسلوكُ الأخلاقِ وأخلاقُ العلمِ.

كما تناول **الفصل الرابع** من هذا القسم والذي تقدّمتْهُ الآيةُ الكريمةُ)لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ(؛ الموضوعاتُ الآتية: للشخصيةِ المسلحةِ شريعةٌ ومنهاجٌ مُحكَمانْ، والوازِعُ الدينيُّ هو الرقيبُ على ضميرِ الإنسانِ؛ والإيمانُ وِقَاءٌ من القلقِ ويدرأُ المتاعبَ؛ والإيمان صانعُ العجائبَ.

أما **الفصل الخامس** والذي تصدَّرتهُ الآيةُ الكريمةُ)وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ(فقد عُرضت فيه الموضوعات الآتية: الإنابةُ استقامةُ الخُلقِ والسلوكِ؛ والإيمانُ يمنحُ النفسَ سكينَتَها والشخصية توازُنَها؛ والشخصيةُ المسلمةُ أمامَ روعةِ القدرةِ الإلهيةِ؛ واللهُ خلقَ الكونَ وفقَ نواميسَ اختارها له.

أما **الفصل السادس** والذي استُهلَّ بالآية الكريمة)وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ(فقد تضمنَ موضوعاتٍ هي: الشخصيةُ المسلمةُ في واحةِ الإيمانِ؛ والشخصيةُ المسلمةُ أمام مشاهدِ الكونِ وشواهدهِ؛ وبيولوجيةِ الضغوطِ النفسيةِ في الحياةِ الإنسانيةِ؛ وهذا الوجودُ وعلاقةُ الإنسانِ به؛)وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا(والموجاتُ الكهربائيةُ في دِماغِ الإنسانِ؛ والشخصيةُ المسلمةُ نتاجُ الهِدايةِ الإلهيةِ وصنيعتُها.

يتحدث أ. د. عبد العلي الجسماني في القسم الثاني في الجزءِ السابع من موسوعةِ القرآن وعلم النفس بالقول إن العلمَ في الإسلامِ فضيلةٌ ووسيلةٌ خصَّ الله بها الإنسان لتتحقق إرادةُ اللهِ في الإنسانِ كهدفٍ بذاتهِ، فالعلمُ عاملٌ أساسيٌّ في ترقيةِ الضميرِ الديني وتوسيعِ آفاقهِ الحسيةِ والعقليةِ لأنهُ يكشِفُ عن عظمةِ الكونِ وعجائبِ المخلوقاتِ وعن سُنةِ اللهِ التي جعلها في القوانين والطاقات التي تسيرُ عليها الكائناتُ الجامدةُ والحيّةُ، كما أن العلمَ يُعطي للإنسانِ الوسائلَ الإدراكيةَ والعمليةَ لتسخيرِ تلك القوانين وتلك الطاقات لمصلحتهِ المعاشيةِ والحضارية. ويؤكد أ. د. عبد العلي الجسماني بأن للإيمانِ أهميةً بالغةً في حِفظِ الشخصيةِ متوازنةً نفسياً وفسيولوجياً، وللإيمانِ بالغُ الأثرِ في تمكينِ الشخصيةِ من الثباتِ على زعازعِ الحياةِ والتفاؤلِ والصبرِ على أوصابِ الدنيا؛ وفي صحتها النفسية وفي خلق مناعةٍ نفسية من الاضطرابات النفسية حيث يخلقُ ذلك جهازَ مناعةٍ نفسيّ يُسهمُ في إنتاجِ مناعةٍ إضافيةٍ في تنشيطِ أجهزةِ المناعةِ الجسميةِ مما يمكّنْ الإنسانَ على توجيهِ سلوكهِ توجيهاً سليماً يحققُ له التوازنَ في الحياةِ اليومية؛ كما أن الصراعَ النفسيَّ الذي يعيشُهُ الشبابُ من شأنِهِ أن يسلَخَهُ من واقِعِهِ فيتبدّى في سلوكِهِ الانحرافُ والشذوذُ عن الواقِعِ الحقيقيّ إلا مَنْ هدى الله وعَصَمَهُ من وكسِ الحالِ التي منه يعاني؛ لذا والحقُ يقال فإنني أناشِد شبابنا الواعي الناهِض أن يستلهِمَ من إعجازِ القرآنِ وعظمتهِ ومن ديننا الحنيف كلَّ مقوماتِ بناءِ شخصيتهِ وسلوكهِ ليتخلصَ مما يعانيهِ من ضياعٍ وفراغٍ وسط هذا العالمِ المضطرب وأن يبنيَ شخصيته المتوازنة التي تحقق له حياةً كريمةً خاليةً من الاضطرابات النفسية وأن يزداد إيماناً بخالقه وينصرفَ للعلمِ والتعلّمْ والابتعادِ عن كل ما يخلق له الكآبةَ واليأسَ والضياعَ في هذه الحياة.

والله ولي التوفيق، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أ. د. طارق محمود رمزي رؤوف
أستاذ القياس والتقويم التربوي والنفسي
كلية الآداب – جامعة صنعاء

21 – التفكك الأسري: الأسباب والحلول المقترحة*

للأساتذة: د. أمينة الجابر، د. صالح إبراهيم الصنيع،
الشيخة العنود بنت ثامر آل ثاني

حديثنا الآن عن كتاب بعنوان: "**التفكك الأسري: الأسباب والحلول المقترحة**" تأليف كل من د. أمينة الجابر الأستاذة بجامعة قطر ود. صالح إبراهيم الصنيع أستاذ علم النفس المشارك في جامعة الإمام محمد بن سعود بالمملكة العربية السعودية، والشيخة العنود بنت ثامر بن محمد آل ثاني الباحثة بالمجلس الأعلى لشؤون الأسرة في قطر؛ وقد تم نشر هذا الكتاب في كتاب الأمة وهي سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في قطر في العدد 83 جُمادى الأولى عام 1422هـ الموافق في أغسطس 2001.

تناول الكتاب الذي نحن بصدد الحديث عنه ملفاً مهماً في حياة الإنسانية هو ملف الأسرة بما له من أهمية وخطورة في المجتمعات الإنسانية باعتبار الأسرة الركيزة الأساسية في بناء المجتمع وتطوره وارتقائه؛ وقد جاء – كما ذكر مؤلفو هذا الكتاب – امتداداً لجائزة الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني الوقفية العالمية تحت عنوان: "الأسرة المسلمة في العالم المعاصر" وقد جاءت – كما يذكر مؤلفو هذا الكتاب الذي كان بحثاً في أساسه – فكرة هذا الموضوع واختياره للرد على وسائل الإعلام وأدوات الاتصال والترويج والإقرار لأنماط أسرية بديلة دون أدنى اعتبار للنواحي الشرعية والقانونية والأخلاقية مثل زواج الجنس الواحد، والمعاشرة بدون زواج، وإعطاء الجميع حقوقاً متساوية ووضع سياسات وقوانين تقدم دعماً تأخذ في الاعتبار – كما يذكر ذلك المؤلفون – تعددية أشكال الأسر.

ويستطرد المؤلفون لكتاب "**التفكك الأسري: الأسباب والحلول المقترحة**" بأن التوجه صوب الأسرة لإعادة بنائها وفق المعايير الاجتماعية والإسلامية واسترداد جو المودة والرحمة وحمايتها من التفكك والانهيار ودراسة المشكلات التي تعاني منها على مستوى الذات والاستهدام القادم من الآخر والذي مكّن له تفريطنا الكبير – على حد قول المؤلفين –، أصبح مطلوباً من جميع الفعاليات السياسية والثقافية والاجتماعية والتربوية على حد سواء.

يتحدث كل من د. أمينة الجابر ود. صالح إبراهيم الصنيع والشيخة العنود في كتابهم هذا أن أسباب التفكك الأسري كامنة في الذات المسلمة اليوم التي باتت تفتقد معاييرها وتعتمد التقاليد الاجتماعية محل التعاليم الشرعية وخاصة التقاليد الاجتماعية المنبثقة عن النقل الثقافي الغربي؛ وباتت الأسرة العربية تتهاون في بناء الأسرة وفق المعايير الإسلامية اختياراً واستمراراً وعلاجاً ومعرفة رسالتها وتفتقد – كما يذكر المؤلفون – القيم الإسلامية في الاحتساب والإيثار والرحمة والمودة والعفو والإحسان والعدل حيث تحوّلت الأسرة إلي بؤرة للصراع.

فكتاب **التفكك الأسري: الأسباب والحلول المقترحة** كما يراه المؤلفون محاولة لفتح ملف يعتبر بنظرهم من أخطر الملفات إن لم يكن أخطرها لأن الأسرة بنظرهم هي الحصن الباقي، وأن الهزيمة عندها تعتبر الحالقة فهي الوحدة الاجتماعية الأولى وهي الرحِم والمِحضَن الذي تتخلق فيه جميع الأنشطة والفعاليات.

يضم الكتاب (167) صفحة.

ويتضمن الكتاب ثلاثة موضوعات رئيسية عن التفكك الأسري مع تقديم له بقلم الأستاذ عمر عبيد حسنه مع خاتمة تشمل توصيات ومقترحات كما يتضمن كل موضوع رئيسي موضوعات فرعية حوله.

فقد تناول الموضوع الرئيسي الأول "التفكك الأسري: الأسباب والآثار" بقلم د. أمينة الجابر ثلاثة موضوعات فرعية حوله هي:

1. المنهج الإسلامي للحفاظ على الأسرة وعلاج مشكلاتها: المتمثل بالرغبة المتبادلة والاختيار المطلق والرضا الكامل، وكذلك القيم الثابتة عماد الاختيار بين الزوجين، وكذلك مراعاة الكفاءة بين الزوجين، وقيام عقد الزواج على التأبيد؛ وتنظيم الحقوق والواجبات.
2. أسباب التفكك الأسري: ترى د. أمينة الجابر أن أسباب التفكك الأسري تنحصر في عدم الالتزام بالضوابط الشرعية في الزواج، الأمية الدينية في فهم الحياة الزوجية، وإهمال الأم لرسالتها الأولى، وتقصير الرجل في القيام بواجباته، وكثرة الطلاق لأتفه الأسباب؛ والفارق الكبير في السن، والبث الإعلامي والغزو الفضائي القادم، والظروف الاقتصادية.
3. آثار التفكك الأسري: كما ترى د. أمينة الجابر في الكتاب هذا أن من آثار التفكك الأسري:
4. سيادة القلق بين الأسرة وعدم الاحترام المتبادل بين الزوجين وانهيار القيم الأخلاقية، وزيادة عناصر الخصام والهجر بين الأزواج، وزيادة فرص العنف بين الزوجين وممارستهم العنف ضد أبنائهم مما يثير لدى الأبناء مشاعر العنف ضد الآباء مستقبلاً؛ ومن آثاره أيضاً كما تشير إلى ذلك د. أمينة في هذا الكتاب كثرة الطلاق دون سبب مشروع؛ وضياع الأطفال مما يتركهم يعيشون تجربة نفسية قاسية تترك في وجدانهم انطباعاً سيئاً عن الجو الأسري.

تناول الموضوع الرئيسي الثاني من كتاب التفكك الأسري أيضاً قضية "التفكك الأسري: الأسباب والآثار" بقلم د. صالح بن إبراهيم الصنيع حيث تناول فيه ثلاثة موضوعات فرعية تتمحور حول:

1. من أهم أسباب التفكك الأسري:

أ. الأب الحاضر الغائب والذي يعني به د. صالح قضاء الزوج معظم أوقاته خارج المنزل سواء للعمل أو السهر مع الشلل والأصدقاء.

ب. الأم الحاضرة الغائبة والمتمثلة بانصرافها عن مسؤولياتها الأسرية بشواغل مختلفة سواءٌ للعمل أو كثرة لقاءات الصديقات والخروج المستمر إلى الأسواق.

ج. صراع الأدوار، يذكر د. صالح أن ذلك يتمثل في التنافس بين الزوج والزوجة لأخذ كل منهما مكان الآخر ليكون ربان سفينة الأسرة مما يترتب عليه حصول المنازعات المتكررة لأتفه الأسباب.

د. ثورة الاتصالات الحديثة المتمثلة كما يحددها د. صالح في هذا الكتاب – في استنفاد جلّ وقت الأسرة في التعامل معها فما أخلّ بواجباتهم الأخرى نحو بعضهم البعض ونحو الاهتمام بأحوال أبنائهم.

هـ. الخدم والمتمثل برأيه بقيام الخدم بأدوار الأب والأم مما ساهم في كثرة الخلافات بين الأزواج حول عمل الخدم وحول المشكلات بين الخدم وأحد الزوجين.

و. الوضع الاقتصادي للأسرة والذي اشترك فيه د. صالح مع ما ذهبت إليه د. أمينة في موضوعها الأول.

ز. ضعف الإيمان: يرى د. صالح بن إبراهيم أن هذا العامل يساهم في الوقوع السهل والمتكرر للزوجين في الخطايا والآثام التي تسبب مشكلات لا حصر لها داخل الأسرة مما يضعف مواجهتهم لمشكلات الحياة المعاصرة.

2. من الآثار السيئة للتفكك الأسري:

يذكر د. صالح في هذا الكتاب أن من آثار التفكك الأسري: على الأفراد والمتمثل بأفراد الأسرة نفسياً واجتماعياً وفقدان المأوى لأطفال الأسر المفككة والانحرافات السلوكية؛ كذلك من الآثار المترتبة على التفكك الأسري هو ما يرتبط بعلاقات الزوجين بالآخرين وخصوصاً الأقارب مما يؤدي إلى القطيعة، كذلك يؤدي التفكك الأسري بنظر د. صالح في كتابه على نشر الانحراف وخصوصاً الأولاد من البنين والبنات وإلى اختلال في كثير من القيم التي يسعى المجتمع لترسيخها في أذهان وسلوكيات أفراده؛ وكذلك يؤثر حسب قوله على إعاقة سبل تحقيق أهدف التنمية التي تتطلب وجود أسرة سليمة.

3. وسائل للوقاية والعلاج:

ففيما يخص الوقاية يرى د. صالح في كتاب التفكك الأسري أنه يجب تقوية إيمان الفرد ابتداءً من الصغار لتكوين شخصية سوية مستقيمة لديهم؛ كذلك بناء الأسرة على أسس صحيحة؛ وعدم التدخل في حياة

الزوجين خاصة الأهل بحيث يُترك الأمر للزوجين لحل المشكلات التي يواجهانها.

أما فيما يخص العلاج فيرى د. صالح أن ذلك يرتبط بالمؤسسات الدينية والمؤسسات التربوية والمؤسسات الثقافية والإعلامية؛ وكذلك المؤسسات الخيرية وكذلك المؤسسات الصحية ومؤسسات الإرشاد الزواجي، وصندوق العائلة الخيري كلٌّ في مجاله وتخصصه.

تناول الموضوع الرئيسي الثالث من كتاب **التفكك الأسري: الأسباب والحلول المقترحة** الذي كتبته الشيخة العنود بنت ثامر آل ثاني "موضوع التفكك الأسري: العلاج والحلول" والذي يتضمن موضوعات فرعية هي:

1. مفهوم الأسرة والتفكك الأسري الذي تحدثت فيه الشيخة العنود عن أسس نجاح العلاقة الزوجية والمتمثلة بالحب والاحترام والانتماء والتعاون والصداقة، كما تطرقت إلى الأزمات الأسرية وتحدثت عن أسباب النزاعات الأسرية المتمثلة في عدم فهم كل من الزوجين لنفسية وطباع الآخر وبسبب ميزانية الأسرة وعدم الاهتمام من قبل الأسرة بالأبناء.
2. وسائل العلاج ومقترحات للتوعية الأسرية: وحسب ما عرضته الشيخة العنود في هذا الكتاب فإنها ترى بأن الطرق التي تساعد في حل المشكلات التي تواجه الأسرة تتمثل في الاهتمام بوضع سياسة للتوعية الأسرية، وفي دور الزوجين في حل مشكلاتهما بدون تدخل الآخرين؛ وفي العلاج الديني وزيادة دور الجمعيات الأسرية؛ وفي زيادة دور وسائل الإعلام في التوعية الأسرية، وأن يكون للمؤسسات الحكومية والأهلية دورٌ مهمٌ في التوعية الأسرية كمراكز التنمية الاجتماعية ومراكز الاستشارات الأسرية.

وفي الختام يمكن اعتبار هذا الكتاب قيمة علمية حري بالأسر متمثلة بالزوجين الاطلاع عليه وسبر غور الأسباب التي تؤدي إلى الأزمات الأسرية ومن ثم التفكك الأسري والآثار المترتبة على ذلك وسبل الوقاية منها وأساليب علاجها. والله ولي التوفيق.

أ. د. طارق محمود رمزي
أستاذ القياس والتقويم التربوي والنفسي
كلية الآداب – جامعة صنعاء

22 – دراسات نفسية تربوية اجتماعية*

تأليف: الدكتور عبد العلي الجسماني
أ. محمد أحمد شرف الدين
سلسلة أحاديث قرأت لك

أصدقاءنا الشباب: من رفوف المكتبة العربية اخترنا لكم كتاباً قلّ أن نجد نظيره في دهاليز هذه المكتبة، كتاباً يحمل في طياته زخماً معرفياً هائلاً ورؤى ثقافية واسعة، إنه كتاب (دراسات نفسية تربوية اجتماعية) ألفه العالم الكبير، قطب رحى الدراسات الإنسانية، الأستاذ الدكتور عبد العلي الجسماني؛ أستاذ علم النفس بكلية الآداب جامعة صنعاء. يقع هذا الكتاب في مئة وخمس عشرة صفحة من القطع المتوسط، طبعه مركز عبادي للنشر والتوزيع – صنعاء.

يتألف الكتاب من مجموعة مقالات ومواضيع انتشرت في صفحاته، ذكر فيها المؤلف أنه سلسلة دراسات نفسية اجتماعية تربوية، تناولت مواضيع شتى، صدّر لها المؤلف بمقدمة تحدث فيها عن تربية النشء وأهميتها، وضرورة أن ينشأ الفرد وقد تشبعت نفسه بالثقة بنفسه، لتصير نفسه مطمئنة، كما تحدث عن أثر البيئة والتنشئة القوية في حياة الفرد مدى حياته.

بعد هذه المقدمة جاءت مواضيع الكتاب المختلفة؛ حيث بدأها بعنوان (قراءة من منظور نفسي؛ الدكتور عبد العزيز المقالح وخمس قصائد) ثم (رأي في كتاب) و(إلى المعلم أتحدث)، و(قراءة استفادية من كتاب تربوي)، و(علم النفس الاجتماعي وعلم الاجتماع وموقفهما من الاغتراب النفسي) ثم تحدث عن اليمن تحت عنوان (عرفت اليمن وأنا تلميذ ابتدائي) وبعدها جاءت مواضيع (العقل والدماغ تآزر لا تنافر) و(الأنا والذات أيهما أولاً) ثم تناول الغيرة ما لها وما عليها وشؤون أسرية أسئلة وجوابها، وغيرها من المواضيع المختلفة.

دعونا أعزاءنا الشباب نطالع ما قاله الدكتور عبد العلي الجسماني في كتابه (دراسات نفسية تربوية واجتماعية) عن اليمن حيث يقول: "عرفت اليمن وأنا في الصف الخامس الابتدائي، عندما كانت – أي اليمن – أحد فصول كتاب الجغرافيا، تعلقت في ذهني صورتها، إلى أن شاءت تقادير الحياة أن آتي اليمن، لأجد أهلها كما وصفهم مؤلف الجغرافيا أنهم عرب يكرمون الضيف، ويأبون الحيف، فمن يزور صنعاء مرةً يلبث يذكرها بالحنين، لذا أقول إذا اتفق أن أغادر اليمن، فسأحفظ لها بأصفى الذكريات وأنقى المحبة، وسأجتهد بالعودة إليها، فقد غمرني أهلها باللطف والعطف، وأحسست أنا وأفراد أسرتي بالاحترام والأمان والتشجيع، مما جعلني أقرأ كثيراً تأليفاً وترجمة"، ثم يتابع بقوله: "وأرى المستقبل كشافاً لليمن واليمنيين، ولا أدلّ على ذلك من اختيار صنعاء عاصمة للثقافة عام 2004م، فهذا البلد الذي حقق الوحدة بين شطريه لجدير بمستقبل زاهر".

وتحت عنوان (العقل والدماغ تآزر لا تنافر) يقول المؤلف الأستاذ الدكتور عبد العلي الجسماني: إن دماغ الإنسان معجزة محيّرة للعلماء، ففي عام 2003م اكتشف الباحثون في أثيوبيا جمجمتين لشخصين بالغين، وجمجمة لطفل صغير، تعود أعمارها إلى مئة وستين ألف سنة غبرت، ثم يطرح أسئلة تُفرض نفسها مثل: لماذا نمشي منتصبين؟ لماذا أدمغتنا هي بهذا الحجم؟ وكيف أصبحت لدينا هذه العقول الحديثة؟ ثم ما هي الجينات التي تجعلنا بشراً مميّزين على سائر المخلوقات وغيرها من الأسئلة المدهشة التي يقف الإنسان عندها حائراً، ثم يذكر أن المختصين بتشريح الدماغ والمهتمين بدراسة ومعرفة أسراره يقولون إن أدمغة البشر بدأت تزداد حجماً منذ مليوني سنة، وشرعت تأخذ لياقتها وتحتل في العمل المنظم مكانتها منذ (160.000) سنة ويورد

في كتابه هذا أن المصادر والمراجع العلمية الموثوقة تذكر أن (93) مختصاً بالتشريح. وكلهم كانوا ملحدين – لكنهم ما إن تعمقوا في بعض أسرار الدماغ وتعقيداته، حتى آمنوا بعظمة خالق هذا الدماغ معترفين أن وراء تطور الدماغ الهائل هذا سبباً مكنوناً أريد به خير الإنسان ثم يلج المؤلف إلى مواضيع أخرى غاية في الإمتاع والإفادة منها الاكتشافات العلمية الحديثة التي منها مفاهيم العقل، والدماغ والعقل والوشائج المحكمات بينهما والإنسان وعقله، ثم العقل والتعلم والعلم الذي يقول فيه: إن العقل سبب هيّأه الحق للإنسان ليكتسب به العلم والمعرفة، وكل ما يستطيع المودع في العقل البشري أن يظفر به من ديناميات الحياة وحركتها الذاتية الدائبة المسخرة للإنسان، فالإنسان – كما يقول الدكتور عبد العلي الجسماني – يعيش في صميم هذا الوجود المذهل، ولا ينبغي له أن يعيش منسلخاً عن تطورات العصر ومدهشاته المتلاحقات التي تكاد تُربك الإنسان وهي من صنع عقله، أما الأنا والذات فقد جاءا في مبحث متخصص بهما، وفيهما يقول نقلاً عن أبي الحسن العامري.

مراتب التعرف بالذات بحسب المبدأ أربع مراتب وهي أن تعرف ما هو، ومن جاء به وماذا جاء به، وكيف كان مجيئه. أما أن تعرف الذات بحسب الغاية فهو أيضاً أربع مراتب وهو أن يعرف لماذا هو، وكيف السبيل إليه، وما الذي يحتاج إليه في التوجه نحوه، وما الذي يعرفه عن بلوغه.

فالأنا والذات "متفاعلتين متداخلتين" مصدرٌ منير لكلٍّ من:

1. الوعي الأخلاقي.
2. الوجدان.
3. الضمير.

ونختم استعراضنا هذا بمقالٍ تحدّث فيه المؤلف عن الغيرة ما لها وما عليها حيث قال: الغيرة بفطرة الإنسان ألصق وبحقيقة تكوينه أوثق، فالإنسان هو الكائن الوحيد الذي يُنعت بصفة الغيرة من بين صفات له أخرى ينفرد بها ولا تصدق على سواه من سائر مخلوقات الله، فهي "أي الغيرة" تشمل أنواعاً شتى في حياة البشر، حالات منها كثيرة تضر وبعضها للإنسان مفيد.

فغيرة الزوجة على زوجها بحيث تصل إلى حد الشك قد تُفضي إلى الافتراق وانهيار بيت الزوجية وغيرة الرجل العارمة على زوجته أكثر من الحد المحدود قد يؤول إلى تفكك الأسرة وانفراط شمل العائلة. فالإنسان المتوازن ذو العقل الراجح والفكر القويم يحس "دون ريب" بالغيرة ممن يتفوق عليه في مجالٍ مشتركٍ بين الاثنين، غير أن غيرته لا تجمع به فتجعله يطيش في سلوكه بحيث ينعكس الحال عليه سلباً بل قد يتسامى في غيرته فيحيلها إلى إطراء لزميله المتفوق ومن ثم يجتهد لينافسه في حلبة المنافسة الشريفة المشروعة.

والغيرة كما يقول المؤلف: "كثيراً ما تشتبك بدوافع الخوف من المصير المجهول والخوف من خدش الكبرياء، والخوف على النيل من الكرامة، وهذه عناصر تتفاعل في نفس الرجل والمرأة على حد سواء. وليس هذا ما ينكره أو ينفيه، لكن الحديث في جُلِّه وما زال الكلام للمؤلف يعرج على غيرة المرأة في الغالب، فهناك ما يسمى بالغيرة الأنثوية، فتكون سمةً بين النساء سائدة حصراً".

ويعدد الدكتور عبد العلي الجسماني عوامل الغيرة عند الأنثى بالآتي:

1. نوع مزاج المرأة.
2. التكوين النفسي للمرأة.
3. الوضع الاجتماعي للمرأة.
4. المستوى الثقافي للمرأة.
5. مقدار الثقة في النفس التي تتمتع بها المرأة.
6. مدى إحساس المرأة بالطمأنينة التي تعيشها.

7. حقيقة ثقتها بزوجها وبمن حولها.

وكلما كانت المرأة متزنة متأنية كانت غيرتها أخفّ، فلا تعصف بحياتها وساوس أو هواجس مبعثها أشباح شيطانية، والشيء نفسه يصدق على الرجل حيال زوجته وسائر أفراد أسرته من بنين وبنات، وكلما رفرفت على الأسرة نسمات الروح الإيمانية عاشت حياةً أسعد وأرغد.

أخيراً شبابنا الأعزاء؛ إن مرحلة الشباب ومقتبل العمر هي مرحلة الإنتاج والإبداع، ولا بدّ لكل شاب أن يستغلها قدر الإمكان، ليتمكن من جني المعرفة الإنسانية، لئلا يضيع العمر سدى (ربّنا آتنا كنوز الحكمة ونفساً متزنة تحمل هذه الكنوز).

والسلام عليكم.

محمد أحمد شرف الدين

23 – كائنات الوصل – بنات الثريا

شعر: حسن عبد الله الشرفي

كائنات الوصل: ديوان شعر للشاعر اليمني المعروف، الأستاذ حسن عبد الله الشرفي، نشر الديوان، مركز عبادي للدراسات والنشر بصنعاء عام (2003م). يضم الديوان بين صفحاته البالغة (254) صفحة، ثمانٍ وثلاثين قصيدة.

هذا الديوان متمِّم، كما أرى، لديوان آخر سبقه لنفس الشاعر بعنوان **بنات الثريا**، نشره مركز عبادي أيضاً عام (2002م) وينطوي بين صفحاته البالغة (258) صفحة ثمان وخمسون قطعة شعرية.

إن مَنْ يقرأ ما في هذين الديوانين ليقف متلدداً محتاراً. أقول ذلك فيما يخصني في الأقل. ففي كل من الديوانين إضمامات رائقة من أزهار القصائد الشائقة.

قدّم الشاعر الأستاذ حسن الشرفي لديوانيه بمقدمتين تنمان عن تمكّنه من النثر بمقدار مساحة مشاويره وسياحاته في فيافي العروض الشعري، وحلبات الإبداع التي فيها يصول باستحقاق وعلى راحته يجري.

ففي مقدمته لديوانه الأول: **كائنات الوصل**، يسمّي القصيدة فيذكر أية قصيدة في حكمه، وأراه محقاً، بأنها (القصيدة السنبلة، والقصيدة البيدر، والقصيدة الفن، والقصيدة الناس..) ص 7.

يستهل الشاعر الأستاذ حسن ديوانه: **كائنات الوصل**، بقصيدة بعنوان (صنعاء والخيط الأول) يقول فيها:

من أول الخيط محلوجاً ومغزولاً
أرى نسيجكَ فوق الطمي محمولاً
يا أمَّ أيلولَ قد غابت مواسمه
متى تُعيدُ رياحُ القلبِ أيلولا؟

يخاطب الشاعر هنا صنعاء الحبيبة إلى قلبه، بيد أنه يشد حبل الوصال إليها من خلال ما أسماه بـ (الحلم الضائع).

يتجلى لقارئ شعر الأستاذ حسن الشرفي أنه بصنعاء مدلّهٌ ولهان، وأنه بحبها مأخوذ فبادلها بحبها له حب شاعر متمرس فنان يجيد انتقاء اللفظة، ويحسن اصطفاء اللحظة والوقفة، فهو في صنعاء أيضاً يتغنى في قصيدة بعنوان (طويل البال):

يا طويل البال ما دمت على
ذمةٍ خذ طولها لا قصركْ
بَعُدَ المشوارُ حتى لم تجد
أنفه للبوح إلاّ وتركْ
قل لها إنكَ من صنعا التي
ما أتت بالذنب كي يستغفركْ
ذنبها بوّابةٌ مشرعةٌ
زرعت في كلِّ بحر جُزُرَكْ

وفي ديوانه: **بنات الثريا**، يتغزل الشاعر حسن الشرفي بصنعاء، إذ يقول:

ولم صنعاء في بالي عشيقاً

ومعشوقاً تجاذبني طُمُوحيْ
أقول لكل ظامئة التمني
وكلِّ جريئة الطرف المليح
لما تدرين من ومض العشايا
أبوح وكنتِ أحرى أن تبوحي
إذا كانت جبال الوصل منّا
بعافيةٍ فبُعْداً للسفوح
غداً تأتي بنا الدنيا ونأتي
بها فدعي الهواجس واستريحي

فما قرأته لشاعرنا الأستاذ حسن الشرفي، في هذين الديوانين وما أقرأه أحياناً من ومضات فكرية، ونفحات وجدانية، تنشر له في الملحق الثقافي في صنعاء، يسمح لي بالقول إن الشاعر حسن عبد الله مسكون بحب وطنه عامة، وبعشق صنعاء خاصة. فتتبجّس أحاسيسه شعراً يتألق إبداعاً. وإنّ سيكولوجية الإبداع لتبوح بالقول: (إن الفعل الإبداعي الواحد لديه القدرة على تغذية قارة بأكملها. فعل خلاّق واحد يمكن أن يؤدي بالسيل إلى أن يخترق الصخر) وهذه صنعاء تستَهِلُّ تارة أخرى في قريحة الشاعر حسن الشرفي إذ يقول:

هَلاَ، واسبطرّت كالجياد الجوامح
مضمّرةً من عهد هود وصالح
غدّ إلى الأعلى جناحَي محلّقٍ
بيد مرامي القول رحب المنادح

* * *

أقول له: هلاّ توسطت معجماً
فألقاك في صنعاء من غير شارح

وهكذا يمضي الأستاذ الشاعر حسن ليقول في القصيدة ذاتها:

هنا يا رفيق الذوق صنعاء ترتدي
غلالةَ عشقٍ عاصمي الروائح
وصنعاء ما صنعاء قلبٌ وقُبْلَةٌ
على ظمأٍ في الروح لا في الجوانح
وتظلمها إنْ أنتَ قيدتَ صوتها
بأربعة من كلِّ غادٍ ورائح
هنا بيضها المكنون كيف لمسته
بذوق جلاميد الهضاب الروامح؟
كأنّكَ لم تقرأ سوى ربع آية
وفاتك في المحراب أجر الفواتح
وكم فوق هالات الندى من مغردٍ
يناغي بأوتار الشذى قلب صادح

* * *

ثم يتهادى شاعرنا المبدع في ذات القصيدة، من بديع إلى أبدع حيث يصفّ لآلئهُ الحسان فيقول:

هنا يا صديق الحال صنعاء عبقر
تحلّق في عليائهِ والأباطح
بمثل بدور التم تلقاك موهنا
وفي الصبح مثل الصافنات السوائح

* * *

ففي قصيده المُهدى إلى صنعاء، ونشيده المُغنّى إلى هذه المدينة الحسناء، يطالعنا الشاعر الشرفي في كل بيت من شعره بجديد لا موانئ له. يتراءى للقارئ المتأمل أنّ المهم لدى الشاعر هنا هو أن تأخذ المفردة لديه وجوداً جديداً، وأن تشغل مكاناً لها فريداً، وأن تترجم عن الموهبة الشعرية الشاعرة، لا الناظمة.

يسبك الأستاذ الشرفي غيدَه الحسانَ شعراً وعدته وعتاده، كما يبدو، جاهزان. فهو قد هيأ نفسه، وولج حلبة القصيد، وقد أخذ له أهبته. ينظم لآلئ الشعر مستضيئاً بنهار نفسه الواعية، مستلهماً خبرات الحياة، ومسترفداً ما تجمع لديه من مكنونات ذاته اللاواعية الخافية. وهذان العنصران من ألزم المستلزمات للشاعر المستمكن والأديب النابه.

وفي قصيدة للشاعر الشرفي بعنوان: (الخَوافِعَهْ) يؤرخ فيها ليوم ميلاده في قريته بجبل الشاهل منها منظومه الذي فيه يقول:

من القرن في كف من قَرَّنَهْ
أتيتك بالدمعة المثخنهْ
وبالصوت ضاق بكل الحبال
وضاق بقسوتها اللينهْ
وجئتك من زمن متعب
يخبئُ في حزنه أزمنهْ
وبالذكريات هنا تنتمي
هناكَ إلى وجع الأمكنهْ
تقولين لي كيف حالي؟ وحالي
مزيج من الدمع والدندنهْ
وما بيدي أن أرى في يدي
رغابي كما شئتها ممكنهْ
وحسبي أني توهمتها
فصدقت حبكتها المتقنهْ
فكنت القصيدة في يومها
كما كنت من أمسها عينهْ
كأني كتاب بحاشيتين
غريب العناوين والعنونهْ
إذا ما روى متنه عن سواه
تساءل ما قيمة العنعنهْ؟
وما أنت فيه سوى آية
بكل قراءاتها مؤمنهْ

أتيتكَ قافلةً من دم
وقافَيةً للأسى مدمنهْ
إذا بحرها عبّ أمواجه
لمحت مواجعك المزمنهْ

يصارح الشاعر في قصيدته هذه أنه ما باسط اللذة شيئاً من مطارحها، بل هو يريد أن يقول لقارئه إنه من مُسْتَنْبتِ الألم جاء وإلى مستحرِّ الألم أفاء. وما يدرينا! لعل للشاعر من هواجسه الخافيات ما يغريه باستدراج قارئه إلى مكامن في نفسه تمور بالدفين من المواجع الهاجعات! وقد يكون لظلام النفس أحياناً ميدان للإبداع. وهل الشعر الجزلُ غيرُ إبداع مصفّى؟

وعن سؤال: ما الشعر؟ يجيب الأستاذ حسن الشرفي: إنه كلُّ ألوان الطيف الجميلة مجتمعة في الحياة وفي الوجود وفي كل الكائنات البديعة.

وعن سؤال: ما هو الشعر؟ يؤطر شاعرنا جوابه بالقول: إن الشعر هو أحد ألوان الطيف جمالاً وشفافية.

وعلى سؤال موجه إلى الشاعر أيضاً: مَنْ أنت في الشعر؟ فيجيب على ذلك قائلاً: "إنني إنسان عرف نفسه في الشعر وبالشعر".

في إجاباته المذكورة هذه يجيب الشاعر على أسئلة كانت موجهة إليه فأثبتها في مقدمة مثيرة ومنيرة دبّج بها صدر ديوانه: **بنات الثريا**. وفيها يلحظ القارئ أن الشاعر لم يكن قطّ متنفجاً، وقد أورد تعريفات للشعر ليست من بين دفّات المعجمات مستقاة.

وعلى أسئلة يبدو أن الشاعر الأستاذ حسن الشرفي قد حوصر بها بشأن قرض الشعر، فيجيب بما هو إلى فن المقامات أقرب، إذ يقول: ".. لك بعض ساعات الحروف ولي زماني؛ أعماره ليست من اللحظات تلك ولا الثواني؛ إنْ قلتَ كم عمري؟ أحلتكَ للفضاء الأقحواني؛ وإلى القصيدة خمنت عمر الفلان ابن الفلان؛ وأنا وأنت على مدار الكم في الكيف المعاني؛ لا شيء ينقصنا سوى حرفين من (عكس) المكان؛ في نصفه الثاني يطل بنا وبالقدر الأماني؛ وكأننا لسنا هناك ولا هنا بيد الرهان! كم عمر ذاكرة الهوى؟ يا قلب في البرق اليماني؟...).. إلخ آخر القول.

الشعر عند الشاعر الأستاذ حسن الشرفي، ".. رسالة، والشعر شهادة عادلة، على الأمس وعلى اليوم، وعلى الغد".

ولو عاد المنصفون من النقاد في الأدب والشعر إلى "قراءة الموروث على هدي من البصيرة لوجدوا أن ميدان الثقافة والأدب هو في عقول وقلوب عشاق الأدب والثقافة من كل الأمم.."، المقدمة ص 21.

فالشاعر حسن الشرفي في ديواني شعره: **كائنات الوصل**، و**بنات الثريا**، أيها الشباب، يجعل النفس مُشِعّةً بالأمل تارة، وتتقلب في الترقب أخرى. ويُحيلُ القلب يتهلل بالنفحات الوامضات مرة، ويُصدع بلواسع الهواجس الخافقات مرات. فهو بموهبته وقريحته يترك قارئ شعره يترسم بنفسه لوعة أصابعه يتحسس بها مواطن الحقيقة. فاقرأوا، أيها الشباب، للشاعر المجوّد حسن الشرفي، ديوانيه: **كائنات الوصل**، و**بنات الثريا**، تفلحوا في إثراء مخزونكم المعرفي.

24 – المجتمع السليم

تأليف: أريك فروم
تعريب: محمود محمود
نشرته مكتبة الأنجلو المصرية في العام 1960م
عدد صفحات الكتاب 252 صفحة من الحجم الكبير

مؤلف هذا الكتاب أريك فروم، ألماني المولد أميركي الموطن. فهو عالم في عالم رفيع السمعة في مجال علم النفس الاجتماعي وفي ميادين البحوث الاجتماعية.

في كتابه هذا (المجتمع السليم) يناقش فروم مشكلة الإنسان الحديث في مجتمع يركز كل همه في الجوانب المادية، ولا يعبأ بتنمية العلاقات الإنسانية والقيم الروحية بين أفراد المجتمع، حتى ليكاد الإنسان يفقد الثقة بنفسه وبقيمة علاقاته بغيره.

إن الإنسان الحديث، كما يرى أريك فروم، قد خلق لنفسه عالَماً خاصاً به من النظم المختلفة، ثم فصل نفسه عن هذه النظم، فلم يعد جزءاً منها، ولم يعد منسجماً معها، بل باتت عبئاً ينوء به كاهله. ولم يقف الأمر عند هذه التخوم حسبُ، بل إنّه قد وهت علاقاته بإخوانه في الإنسانية، فوجد ذاته منسلخاً حتى عن الأشياء التي يستخدمها ويستهلكها. وإذا بقي الإنسان المعاصر ساهياً عن نفسه، سادراً، لا أبالياً، فإنه في المآل سينفصل عن نفسه، فتتشوه هويته، وتتفكك شخصيته، وسينتهي به المطاف عندئذٍ إلى مجتمع مختل في توازنه، وسيصبح كل فرد، في هذا الحال، ذرة منفصلة عن غيرها لا يمسكه بغيره أدنى رباط يراد به التماسك الاجتماعي الذي يدل على السلامة الاجتماعية وتمتين العلاقات الإنسانية[5].

في هذا الكتاب **المجتمع السليم**، وفي كل ما كتب أريك فروم، من كتب أخرى، تتمحور الفكرة الأساسية فتسود جميع آرائه وتتخللها، فتتلخص في أن الميول الأساسية للإنسان لا تنبثق من غرائزه، كما يذهب هذا المذهب فرويد ومن لفّ لفّه من علماء النفس، وإنما تنبثق من كل ما يكتنف النوع البشري فيؤثر فيه ويتأثر به.

فالمكونات في هذه الحياة، وكل ما فيها من ظروف وكائنات، اضطرت الإنسان إلى البحث عن علاقات جديدة توطد صلته بالطبيعة، وذلك بعد أن فقد العلاقة الصافية بينه وبين من يريد من بني الإنسان[2].

في كتاب **المجتمع السليم** هذا، هناك ثلاث مراحل يمكن تشخيصها، ألا وهي:

المرحلة الأولى: هي مرحلة تشخيص أدواء المجتمع وما يمكن أن يتخلله من شوائب ونقائص.

المرحلة الثانية: هي مرحلة ما يراه المؤلف من حلول للمشكلات التي يعاني منها المجتمع.

المرحلة الثالثة: هي ما يعتقد المؤلف بضرورة الأخذ بأسباب العلاج كافة: النفسية، والأخلاقية، والاقتصادية، والثقافية، والاجتماعية.

الإنسان الحديث يبحث له عن حياة جديدة لها معنى وترتكز على أساس العقل والمحبة، وهو، في الوقت ذاته، يتحرى وسيلة ناجعة تكفل له الأمن وطمأنينة النفس.

يثير أريك فروم سؤالاً مهماً: "هل نحن أصحاء العقول؟".

فيجيب عليه بقوله:

"ليس من [6] شك في أن الرأي السائد بيننا نحن أبناء القرن العشرين هو أننا قوم أصحاء العقول. وقد نجد بيننا عدداً كبيراً من الأفراد ذوي العقول المريضة. غير أن هذه الظاهرة لا تزعزع في نفوسنا الثقة بأن المجتمع في جملته صحيح العقل. وقد تطور علم الصحة العقلية وتقدمت وسائل العلاج فيه إلى درجة تمكننا من رفع مستوى الصحة العقلية عامة بين الناس. وليس ما نشاهده من انحراف عقلي عند بعض الأفراد سوى حالات استثنائية لا تطعن في القاعدة ولا تهدم النظرية العامة.

هذه هي العقيدة الشائعة بين الناس، بيد أنه لا ينبغي لنا أن نأخذ بها في سذاجة وفي غير تمحيص، فقد نكون فيها مغرورين أو مخدوعين؛ ولو أنك تحدثت إلى رجل بمستشفى الأمراض العقلية ثبت اختلال عقله قطعاً وجدته يعتقد أنه وحده الرجل العاقل وسط عالم كل أفراده مجانين. كما أن الرجل الذي يصاب بالنورستانيا أو الهستريا لا يشك في أنه إنسان عادي كغيره من الناس، لا يختلف عنهم في شيء إلا في الظروف الاستثنائية الشاذة التي أحاطت به وألمت بحياته.

أليس من المحتمل أن يكون حكمنا على أنفسنا من حيث نحن جماعة كحكم هؤلاء الأفراد المصابين في عقولهم على أنفسهم؟

إن الأمر بحاجة إلى بحث عميق وتحليل دقيق لكي ننفذ إلى الحقيقة ونحكم على أنفسنا حكماً أقرب إلى الصواب".

مؤلف كتاب **المجتمع السليم**، لا يرمي إلى التعرض لأمراض الأفراد العقلية، وإنما هو يحاول أن يحلل أسباب العلل والأدواء الاجتماعية، وإن كان، في واقع الحال، لا يستبعد تماماً، أثر الأمراض العقلية التي تنعكس سلباً على واقع المجتمع ليكون مجتمعاً سليماً كلياً وكما ينبغي.

وفي معرض كلامه عن: العقل والضمير والدين مجتمعين يتحدث أريك فروم عن مكانة القوى الثلاث هذه فيقول:

"وما مصير العقل والضمير والدين في هذا العالم الذي يعيش فيه المرء عيشة منفصلة عن طبيعته؟ إذا نظرنا إلى الموضوع نظرة سطحية حكمنا بأن الإنسان تطور وينمو في تفكيره وفي معتقداته وفي إحساسه بالحق وبالباطل. ففي البلدان الغربية تكاد لا تجد أمياً يجهل القراءة والكتابة، والتعليم الجامعي في هذه البلاد يزداد يوماً بعد يوم، ويكاد كل امرئ أن يقرأ الصحيفة كل صباح، وأن يتحدث عما يدور في جميع أنحاء العالم عن دراية ومعرفة: أما فيما يختص بضمير الفرد فأكثر الناس يتصرف تصرفاً سليماً في حدود دائرته الشخصية الضيقة. ويكاد الناس جميعاً – فيما يتعلق بالدين – أن يؤمنوا بالله، ويتوجه الكثيرون منهم إلى بيوت الله، ولكنه ظاهر من الأمر ينافي ما يضطرم في دخائل نفوسهم.

حينما نتحدث عن العقل يجب أن نحدد أولاً معنى القدرة العقلية التي نشير إليها. وقد فرقنا من قبل بين الذكاء والعقل. وقلنا إننا بالذكاء نعني القدرة على تناول الآراء بقصد بلوغ غاية عملية. فالشمبانزي الذي يضم عصا إلى عصا لكي يحصل على الموز المعلق بسقف الغرفة، لأن كل عصا على حدة أقصر من أن تصل إلى الموز، هذا الشمبانزي يستخدم ذكاءه. وكذلك نحن جميعاً نستخدم ذكاءنا حينما نمارس أعمالنا. ونفكر في طريقة أدائها: "الذكاء" بهذا المعنى يأخذ الأمور قضايا مسلماً بها كما هي، ويؤلف بين شيء وآخر بقصد تيسير تناولهما. وهو أداة تستخدم لأغراض البقاء البيولوجي. أما العقل فيهدف إلى الفهم، وهو يحاول أن يكتشف ما وراء السطح، وأن يبلغ النواة، ويصل إلى جوهر الحقيقة التي تحيط بنا. وللعقل وظيفته، ولكنه لا يخدم بها الوجود

المادي بمقدار ما يخدم الوجود العقلي والروحي. ومهما يكن من أمر فإن العقل، في الحياة الفردية والاجتماعية، كثيراً ما يُطلب للتنبؤ بما ينتظر حدوثه (وكثيراً ما يتوقف التنبؤ على معرفة القوى التي تعمل في الخفاء، تحت السطوح الظاهرة)، والتنبؤ ضروري أحياناً حتى للبقاء المادي.

والعقل يتطلب الاتصال والإحساس بالذات. أما إن كان الفرد مجرد مستقبل سلبي للانطباعات والأفكار والآراء، فهو يستطيع أن يقارن بينها. ويستطيع أن يتناولها – ولكنه لا يستطيع أن ينفذ فيها. لقد استنبط ديكارت وجود نفسه كفرد من أنه يفكر. إذ يقول: أنا أشك، فأنا إذن أفكر، وأنا أفكر فأنا إذن موجود. وعكس ذلك صحيح أيضاً. فأنا لا أستطيع أن أستخدم عقلي، إلا إن كنت موجوداً، وإلا إذا لم أفقد فرديتي في المجهول العام.

ويرتبط بذلك ارتباطاً وثيقاً انعدام الإحساس بالواقع، الذي تتميز به الشخصية المنفصلة عن طبيعتها. إن وصف الإنسان المعاصر بانعدام الإحساس بالواقع يناقض الفكرة العامة الشائعة التي تزعم أننا نتميز عن أكثر عصور التاريخ بازدياد واقعيتنا. بيد أن واقعيتنا واقعية منحرفة. أي، واقعيين هؤلاء الذين يلعبون بالأسلحة التي قد تؤدي إلى تحطيم المدنية الحديثة بأسرها، بل إلى تحطيم الأرض وما عليها! إننا إذا وجدنا فرداً يفعل ذلك ألقينا به غياهب السجن لفوره، فإن ادعى بأنه واقعي وصفه الأطباء النفسانيون بالمريض العقلي. وبغض النظر عن ذلك، ليس من شك في أن الإنسان الحديث يبدي انعداماً في واقعيته في كل أمر هام لدرجة تذهل لها العقول – فهو أبعد ما يكون عن الواقعية في معنى الحياة والموت، وفي السعادة والآلام، وفي الشعور والتفكير الجدي. إنه يغض "طرف عن واقع الوجود البشري كله ويستبدل به واقعية مصطنعة عتيقة بالية متحجرة، لا تختلف كثيراً عن واقعية المتوحشين الذين يضيعون أراضيهم وحرياتهم من أجل قطع من الزجاج البراق. فهي واقعية لا تستند إلى عقل.

وعامل آخر في المجتمع المعاصر سبقت الإشارة إليه يؤدي إلى هدم العقل أود أن أعيد القول فيه في هذا المقام. ليس هناك في الوقت الحاضر فرد واحد يقوم بعملية واحدة كاملة، وإنما يقوم بجزء منها فقط. وما دام حجم الأشياء، وتنظيم الجماعات، أضخم من أن يدرك بكليته، فالشيء لا يمكن أن يُرى في مجموعه. ومن ثم فإن القوانين التي تتحكم في الظاهرة خفية لا ترى. والذكاء يكفي لكي يتناول تناولاً صحيحاً جانباً من وحدة كبرى سواء كانت الآلة أو الدولة، ولكن العقل لا ينمو إلا إذا ارتبط بالكل، وعالج كليات يخضعها لملاحظته وإدارته. وكما أن آذاننا وأعيننا لا تؤدي وظائفنا إلا في حدود كمية معينة من الأطوال الموجية. فكذلك العقل مقيد بما يلاحظ ككل وفي حدود وظيفته في مجموعها. أو بعبارة أخرى، إذا تجاوز الحجم ضخامة معينة، فلا بد للمحسوس أن يتلاشى ليحل محله المجرد، ومع التجريد يزول الإحساس بالواقع. وأول من أدرك هذه المشكلة أرسطو، الذي كان يرى أن المدينة إذا تجاوزت في عددها ما نسميه اليوم بلداً صغيراً لا يمكن العيش فيها.

وإذا لاحظنا نوع التفكير عند الإنسان الذي ينفصل في طرق حياته عن مطالب الطبيعة، أذهلنا فيه نمو ذكائه وتدهور عقله. فالإنسان المنفصل يأخذ واقعه أمراً مسلماً به. إنه يريد أن يأكله، وأن يستهلكه. وأن يمسه، وأن يتناوله، ولكنه لا يكلف نفسه حتى أن يتساءل عما وراء ذلك. أو لماذا تسير الأمور في هذا المجرى دون ذاك، وإلى أين نتجه. إنك لا تستطيع أن تأكل المعنى، ولا تستطيع أن تستهلك المغزى. ولا يحب إنسان العصر الحاضر أن يرى أبعد من أنفه، فإن عرض له التفكير في المستقبل طمأن نفسه بقوله: "بعدي يكون الطوفان"! إن غباء الإنسان قد تزايد منذ القرن التاسع عشر حتى اليوم بدرجة ملحوظة، إذا نحن قصدنا بالغباء ما يناقض العقل، ولم نقصد به ما

يناقض الذكاء. وهناك أشخاص كثيرون على درجة عالية من الذكاء غير أن مقاييسنا للذكاء لا تقيس إلا القدرة على الاستذكار، وعلى التصرف في الآراء تصرفاً سريعاً - ولكنها لا تقيس العقل، ولا يمنع ذلك أن يكون بيننا أفراد ذوو عقل ممتاز، تفكيرهم يبلغ في عمقه وشدته ما بلغه أي إنسان في تاريخ البشر. بيد أن هؤلاء يفكرون في عزلة عن التفكير العام للقطيع، ويُنظر إليهم بعين الريبة، بالرغم من حاجتنا إليهم في الأعمال الاستثنائية وفي تقدم العلوم الطبيعية خاصة.

إن الذهن الآلي الجديد مثال حسن لما نعني بالذكاء. إنه يتناول الحقائق التي يُزود بها، وهو يقارن وينبثق ويخرج في النهاية بنتائج أسرع وأقرب إلى الصواب مما يصل إليه الذكاء البشري. غير أنه يشترط في ذلك كله أن تزود الآلة بالحقائق الأساسية منذ البداية. أما ما لا يستطيعه الذهن الكهربائي فهو أن يبتدع، وأن يدرك بالبداهة، جوهر الحقائق التي تقع تحت ملاحظته، وأن يتجاوز الحقائق التي يزود بها. إن الآلة تستطيع أن تعيد ما يفعله الإنسان بذكائه، أو تزيد عليه، ولكنها لا تستطيع أن تدعي لنفسها [7] العقل".

يستطيع الإنسان أن يتغلب على الصراع داخل كيانه النفسي، وفيما بينه وبين أخيه الإنسان، إذا هو تحلّى بالصبر، والشجاعة، وبعد الخيال، وإذا هو وظف قدراته في خدمة ذاته وفي خدمة حياته والحياة جمعاء، وألاّ يسخِّر طاقاته في خدمة الفناء.

"... إنّ المرحلة الجديدة في تاريخ الجنس البشري - إذا حلّت بساحتنا واستثمرناها - سوف تكون للإنسان بداية جديدة، لا نهاية - طريدة" [8].

لا شيء يقوى على هدم الإيمان بعقل الإنسان، وبحسن نيته، وسلامة تفكيره. وما دام الإنسان قادراً على التفكير في حلول أخرى تجديه في مسعاه، وتناصره فيما يتوخاه، فلن يضل بعدُ الطريق، ولن يُعدم الوسائل التي تنير له السبيل في دنياه.

وإذا حلت المحبة بين الناس، وإذا ساد الإيمان فيما بينهم، فإننا جميعاً لن نفقد الأمل، ما دمنا نعمل معاً من أجل مستقبل أبهى وأفضل.

فاقرأوا كتاب **المجتمع السليم**، أيها الشباب الأعزاء، ففي قراءته للنفس متعة وللعقل غذاء.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

25 – السيرة الذاتية والعلمية للمؤلف الجسماني

1. بعد إتمام الدراسة الابتدائية والمتوسطة التحق بدار المعلمين الابتدائية ببغداد – مدة الدراسة فيها 3 سنوات.
2. حصل على شهادة الثانوية العامة بجهده الذاتي خلال دراسته بدار المعلمين الابتدائية.
3. عمل معلماً في التعليم الابتدائي.
4. عمل في الإدارة فيه كذلك عمل مدرساً في التعليم الثانوي.
5. حصل على شهادة الليسانس في اللغة الإنكليزية وآدابها من دار المعلمين العالية (كلية التربية ببغداد).
6. حصل على الدبلوم العالي في علم النفس من المملكة المتحدة.
7. حصل على الماجستير في علم النفس من المملكة المتحدة.
8. حصل على الدكتوراه في علم النفس من المملكة المتحدة.
9. عمل مدرساً لعلم النفس بجامعة بغداد.
10. عمل مدرساً لعلم النفس بجامعة الرياض (جامعة الملك سعود الآن) في المملكة العربية السعودية، معاراً من جامعة بغداد.
11. عمل أستاذاً مساعداً في مادة علم النفس في جامعة الإمارات العربية المتحدة، معاراً من جامعة بغداد.
12. عمل وكيل كلية (نائب عميد) ثم عميداً بالنيابة في جامعة الإمارات.
13. عمل رئيساً لقسم علم النفس بجامعة بغداد.
14. عمل خبيراً لمفردات علم النفس في المجمع العلمي العراقي.
15. حصل على مرتبة الأستاذية في علم النفس وبقي أستاذاً لمادة علم النفس ورئيساً لقسم علم النفس حتى طلب الإحالة إلى التقاعد بناء على طلبه الشخصي.
16. حالياً أستاذ متمرس في علم النفس.
17. له حوالي (50) كتاباً منشوراً تأليفاً وترجمة.
18. له أكثر من (25) بحثاً ميدانياً موسعاً.
19. له أكثر من (80) بحثاً ألقيت في مؤتمرات وندوات علمية متخصصة محلية وعالمية.
20. له عشرات المقالات العلمية والبحوث المنشورة في المجلات العلمية والصحف.
21. له أكثر من (100) حديث إذاعي سجلها تصب في الميادين العلمية والتربوية والاجتماعية.
22. حضر العديد من المؤتمرات العلمية والمحلية والعالمية. وله فيها إسهامات نالت شهادات تقديرية.
23. عضو في عدد من جمعيات علم النفس العالمية.
24. حاصل على عدة شهادات تقديرية من مجالس علمية محلية وعالمية.
25. عمل خبيراً لعلم النفس في المجتمع العراقي.
26. عمل أستاذاً زائراً في الجامعة الأردنية.
27. أشرف على العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه وعمل ممتحناً لعشرات الطلبة في الدراسات العليا والماجستير والدكتوراه.
28. له خبرة واسعة في مجال الدراسات العليا.
29. أسهم في صياغة حقوق الطفل النفسية العالمية.
30. قام بترقية عشرات أعضاء هيئات التدريس في العديد من الجامعات العربية إلى مراتب علمية أعلى.
31. دخل اسمه في موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين.
32. أضيف اسمه حديثاً إلى قائمة أساتذة الجامعة الأميركية العالمية.

من الإنجازات العلمية للدكتور الجسماني:

أولاً: مبتكرات:

- Students Attitudes Towards Various Aspects of Teachers Training. A Psychological Study, H. Dcp. In Psychology.
- Psychological Research Into Progressive Educational Theory and Practive M.E.D.

- Hormic Theory and its Influence on Subsequent Psychological Thought. Ph.D.

ثانياً: كتب مؤلفة ومترجمة:

- الطفل السوي وبعض انحرافاته: مقدمة عامة في سيكولوجية الطفولة (ترجمة).
- المدخل إلى علم النفس الحديث (ترجمة).
- مأدبة أفلاطون في الفلسفة (ترجمة).
- مقدمة عامة في فلسفة التربية (ترجمة).
- سيكولوجية الطفولة والمراهقة (تأليف).
- علم النفس العام (تأليف مع آخرين).
- علم النفس التربوي (تأليف).
- علم التربية وعلم نفس الطفولة (ترجمة).
- دراسات نفسية تربوية اجتماعية – الجزء الأول – (تأليف).
- دراسات نفسية تربوية اجتماعية – الجزء الثاني – (تأليف).
- دراسات نفسية تربوية اجتماعية – الجزء الثالث – (تأليف).
- دراسات نفسية تربوية اجتماعية – الجزء الرابع – (تأليف).
- دراسات نفسية تربوية اجتماعية – الجزء الخامس – (تأليف).
- دراسات نفسية تربوية اجتماعية – الجزء السادس – (تأليف).
- دراسات نفسية تربوية اجتماعية – الجزء السابع – (تأليف).
- دراسات نفسية تربوية اجتماعية – الجزء الثامن – (تأليف).
- دراسات نفسية تربوية اجتماعية – الجزء التاسع – (تأليف).
- دراسات نفسية تربوية اجتماعية – الجزء العاشر – (تأليف).
- اتجاهات الطلبة نحو مختلف جوانب إعدادهم: دراسة نفسية ميدانية (تأليف).
- الإنسان يبحث عن ذاته.
- علاجك النفسي بين يديك (ترجمة).
- مذكرات فتاة (ترجمة).
- علم النفس القرآني – الجزء الأول – (تأليف).
- علم النفس القرآني – الجزء الثاني – (تأليف).
- علم النفس القرآني – الجزء الثالث – (تأليف).
- علم النفس القرآني – الجزء الرابع – (تأليف).
- علم النفس القرآني – الجزء الخامس – (تأليف).
- علم النفس القرآني – الجزء السادس – (تأليف).
- علم النفس القرآني – الجزء السابع – (تأليف).
- علم النفس القرآني – الجزء الثامن – (تأليف).
- القرآن وعلوم الإنسان – مناهج وآفاق – الجزء الأول – (تأليف).
- القرآن وعلوم الإنسان – مناهج وآفاق – الجزء الثاني – (تأليف).
- دكتور جيكل ومستر هايد: قصة نفسية (ترجمة).
- النظرية الغرضية النفسية وأثرها في تغيير اتجاهات علم النفس الحديث – الجزء الأول – (تأليف).
- الأحلام وقواها الخفية (ترجمة).
- سيكولوجيتك في الحياة: كيف تحياها (ترجمة).
- رسائل في التحليل النفسي (ترجمة).
- العلاج النفسي بين النظرية والتطبيق (تأليف).
- سيكولوجية الإبداع في الحياة (تأليف).
- في الطب النفسي (ترجمة).
- الوراثة والسلوك – الجزء الأول – مشترك (تأليف).
- الوراثة والسلوك – الجزء الثاني – مشترك (تأليف).

- العناية بالعقل والنفس (ترجمة).
- العقل المريض (ترجمة).
- قرأت لك.
- آفاق جديدة في علم النفس: ترجمة الجزء الثاني.
- المجتمع المعافى.

ثالثاً: كتب أنجزت تحت إشرافه:

- التفكير الواضح.
- علم النفس لكل رجل وامرأة.
- القلق.
- السلوك القيادي.
- سيكولوجية الرمز في حياة الإنسان.

رابعاً: بحوث ميدانية موسعة منشورة:

- التكيف النفسي والاجتماعي للشباب، دراسة ميدانية.
- دراسة نفسية لظاهرة الخجل عند الشباب.
- دراسة لاتجاهات الطلبة الجامعيين، دراسة نفسية.
- تحصين الشباب ضد الجريمة: دراسة نفسية ميدانية.
- الحداثة المتوازنة في شعر الدكتور عبد العزيز المقالح.
- ظاهرة نفسية في شعر سليمان العيسى.
- بناء أداة لقياس دافعية المعوقين نحو العمل.
- دراسة نفسية – اجتماعية لمشكلات الأطفال من وجهة نظر الآباء والمعلمين.
- دراسة تحليلية للقيم المستنبطة والمستقراة من عملية تدريب الشباب.
- دراسة ميدانية نفسية – اجتماعية لموقعي الحرب.
- الشخصية العراقية الجديدة كما عبرت عن نفسها خلال الحرب: دراسة تحليلية.
- دراسة نفسية ميدانية لكيفية استثمار أوقات الفراغ لدى الطلبة الجامعيين.
- دراسة ميدانية للأطفال المودعين في دور رعاية الدولة.
- دراسة ميدانية للتوافق الزواجي والتفكك الأسري.
- دراسة ميدانية لبعض حالات الإجرام.
- دراسة نفسية – تحليلية لشخصية المتنبي من خلال شعره.
- دراسة ميدانية لبعض مشكلات الطالب المراهق في الوطن العربي – دراسة نفسية تحليلية.
- دراسة ميدانية لاتجاهات الطلبة حول التخصص في علم النفس والتوجه المهني للتدريس.
- دراسة مقارنة في خصائص الشخصية للطلبة الجامعيين المدخنين وغير المدخنين.
- دراسة القيم ومفاهيمها لدى الطالب.
- دراسة نفسية وميدانية للعلاقة بين البيت والمدرسة وأثر ذلك في تنشئة المراهقين.
- بين علم النفس والأدب.
- التوتر والقلق وأثرهما في الإبداع عند الأدباء.
- دراسة نفسية لشعر نازك الملائكة.
- أساليب التنشئة الخاطئة وعلاقتها بالتكيف السلوكي عند الأطفال.

خامساً: بحوث تطبيقية وتحليلية نشرت في مجلات متخصصة أجنبية وعربية ومحلية.
سادساً: بحوث ألقيت في مؤتمرات وندوات خارج العراق وداخله، عالمية ومحلية.
سابعاً: مقالات نفسية وتربوية كثيرة نشرت في الصحافة العربية والعراقية.
ثامناً: أكثر من (120) حديثاً إذاعياً ونفسياً وتربوياً واجتماعياً.
تاسعاً: أكثر من (20) حديثاً إذاعياً تحت عنوان (قرأت لك)، أذيعت من إذاعة الشباب في صنعاء – اليمن.

انتهى

---

* من مقدمة الدكتور المقالح للديوان، ص 30.

1 و2 ينظر النقد الأدبي الحديث وخطاب التنظير: النظرية وتحليل النص، للدكتور عبد الإله الصائغ، ط 1، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء (2000)، ص 88.

* نشر في الملحق الثقافي لجريدة الثورة، مارس 2004.

[2] التواهي: حي من أحياء عدن الجميلة.

* لحظات جمالية، ص 84، للكاتب جورج غريب.

* د. عبد العزيز المقالح: دراسات في الرواية والقصة القصيرة في اليمن، بيروت (1999).

[3] أوضح H.D. Jennings في كتابه A Guide to mental Health; Goals Life 1939، أهمية مثل هذه القيم الذاتية الفردية. واعتمادها في نفس الوقت على الطريق الخاصة التي يسلكها النمو العقلي للفرد والوسائل التي يحاول بها التكيّف ليلائم ببيئته وهي طرق لا نكاد نتردّد أحياناً في اعتبارها مرضية.

[4] يحذو الكاتب حذو كثيرين من الكتاب المحدثين في إطلاق الاسم الذي أطلقه أرسو على الوجدانية النزوعية وهو orexis تمييزاً له من جوانب المعرفة التي يطلق عليها الاسم المتبع Cognition.

* هذا الحديث والحديثان التاليان – ثلاثة أحاديث – أعدّها لإذاعة الشباب الصديق للدكتور طارق محمود رمزي، أستاذ القياس والتقويم بقسم علم النفس في جامعة صنعاء، وقد أذن مشكوراً بنشرها.

* أعده الصديق الدكتور طارق محمود رمزي وأذن بنشره.

* أعده لإذاعة الشباب الأستاذ محمد أحمد شرف الدين، إعلامي يمني معروف، وقد أذن بنشره مشكوراً.

1 و2 مقدمة كتاب: المجتمع السليم، ترجمة محمود محمود، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 1960، ص 1 – 3.

[6] نفس المصدر، ص 5.

[7] المصدر نفسه، ص 126 – 130.

[8] المصدر نفسه، ص 252.